الأساليب المنهجية
في التدبر القرآني عند الشيخ
عبدالرحمن السعدي

إعداد

الدكتورة / فيحاء محمود محمد الرفاعي

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

الأساليب المنهجية في التدبر عند الشيخ عبدالرحمن السعدي

فيحاء محمود محمد الرفاعي

قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

البريد الإلكتروني: FayhaRifai.11@azhar.edu.eg

الملخص:

من أبرز جوانب اهتمام العلماء بالقرآن الكريم الانتفاع به وتدبره ، وممن كان له جانب في ذلك الشيخ عبدالرحمن السعدي فتفسيره من الكتب الميسرة للعامة ويحوي على فوائد عظيمة ولطائف فريدة ، وقد جاء هذا البحث ليقدم نموذج تطبيقي عملي في التدبر من خلال دراسة الأساليب المنهجية عند الشيخ السعدي ، وقد انبنى البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ، كان المبحث الأول منها : التعريف بالشيخ السعدي وأهم كتبه في التفسير وعلوم القرآن ، والمبحث الثاني : مفهوم التدبر في اللغة والاصطلاح وعند الشيخ السعدي وموانع التدبر ووسائله ، والمبحث الثالث: مقاصد التدبر وفوائده ، والمبحث الرابع: الأساليب المنهجية في التدبر عند الشيخ السعدي مع التطبيق من كتبه في التفسير وعلوم القرآن والحديث عن الأساليب الموضوعية والأصولية واللغوية ثم مميزات تطبيقاته ، والخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات .

الكلمات المفتاحية: السعدي – التدبر – الموضوعية– الأصولية.

Sheikh AbdulRahman al-Saadi's methodological methods of reflection

Fayha Mahmoud Mohammed Al , Rifai

Department of Interpretation and Qur'anIc Sciences - Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Mansoura

E-mail: FayhaRifai.11@azhar.edu.eg

Abstract:

One of the most prominent aspects of the interest of scholars in the Qur'an is the use and management of the Qur'an, and who had a side in that Sheikh Abdul Rahman al-Saadi, his interpretation of the easy books for the public and contains great benefits and unique sects, this research came to provide a practical practical model in reflection through the study of methodological methods at Sheikh Saadi, and the research was based on the introduction and four investigations and conclusion, the first of which was: introducing Sheikh Saadi and his most important books in interpretation and the sciences of the Qur'an, The second topic is the concept of thinking in language and terminology and at Sheikh Saadi and the inhibitions of reflection and its means, and the third research: the purposes and benefits of reflection, and the fourth research: methodological methods in reflection at Sheikh Saadi with the application of his books in interpretation and the sciences of the Qur'an and talk about objective methods, fundamentalism and linguistic, then the advantages of its applications, and the conclusion and the most important results and recommendations.

Keywords: Saadi - Reflection - Objectivity - Fundamentalism.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على البشير النذير، السراج المنير، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه شموس العلم والعرفان والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد

فإن الله عز وجل أنزل القرآن العظيم نوراً مبيناً ، وذكراً حكيماً ، وهدىً وبشرى للمسلمين ، وبرهاناً وشفاءً لما في الصدور .

ولما كان القرآن بهذه المنزلة العالية الرفيعة ، والمكانة المرموقة ، اشتغل به علماء الإسلام قديماً وحديثاً تلاوةً وفهماً ، وتدبراً وعملاً ، وأولوا تفسيره اهتماماً بالغاً .

وكان من أبرز جوانب اهتمام العلماء بالقرآن الكريم الانتفاع به وتدبره ومعرفة عظمته ، إذ هو أنفع شيء للعبد في معاشه ومعاده ، ويثّبِت الإيمان في قلبه ، ويعطيه قوةً وسِعةً وانشراحاً ، وبهجةً وسروراً ، وممن كان له جانب في ذلك الشيخ عبدالرحمن السعدي فقد تميز في هذا الجانب ،فتفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) من أهم الكتب الميسرة للعامة ، ويحوي على فوائد عظيمة ولطائف فريدة ، وكتابه (المواهب الربانية من الآيات القرآنية) علماً على تدبر الآي وتأملها ، وكتابه (القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن) منهلاً في التقعيد والتأصيل ، لذا عقدت العزم متوكلةً على الله في اختيار موضوع البحث وهو :

(الأساليب المنهجية في التدبر القرآني عند الشيخ عبدالرحمن السعدي)

أسباب اختيار الموضوع:

١- قيمة هذا الموضـــوع العلمية، إذ هو متعلق بفهم الآية القرآنية فهماً صحيحاً.

٢- التدبر من أعظم مقاصــد نزول القرآن الكريم، وهو الطريق الأقصــر لصلاح القلب، والتلذذ بكلام الله عز وجل.

٣- إعطاء الدارس والقارئ لهذا الموضوع فرصة الاطلاع على الأساليب المنهجية في التدبر القرآني.

٤- الوقوف على جهود الشيخ السعدي في التدبر، والاستفادة مما كتبه في ذلك من قواعد وتأملات.

٥- تأسيس وتقعيد علم التدبر مما يسهم في تقريبه للأذهان، من خلال تقديم نموذج تطبيقي عملي للناس.

٦- بيان أهمية تفسير الشيخ السعدي من الناحية التدبرية لجهل كثير من الناس بها رغم انتشار هذا التفسير وسلامته من الانحرافات العقدية ونحوها.

٧- قلة الدراسات العلمية التي تُعنَى ببيان مناهج العلماء في التدبر.

٨- كثرة العوائق الصــارفة في هذه الأزمان عن تدبر القرآن، والعمل بما فيه.

أهداف البحث:

١- ترجمة الشيخ السعدي ، وإبراز جوانب شخصيته علماً وعملاً .

٢- التعريف بأهم كتبه في التفســـير وعلوم القرآن ، والتي اتخذتها موطناً للبحث .

٣- استنباط جهود الشيخ السعدي في التدبر القرآني ، وذكر بعض المعالم الدالة على اهتمامه بالتدبر.

٤- التطبيق لقواعد التدبر عند الشيخ السعدي لتكون عوناً للمتدبرين.

٥- معرفة الأساليب المنهجية في التدبر التي ذكرها الشيخ السعدي، وطبقها ، من خلال مؤلفاته محل الدراسة.

الدراسات السابقة :

١- تدبر القرآن الكريم دوافعه وموانعه ، لعبداللطيف التويجري ، رســالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٢- منهج الشيخ السعدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، لناصــر العبد ســليم المرنخ ، رســالة ماجســتير ، الجامعة الإسلامية بغزة .

٣- ترجيحات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي في التفسير جمعا ودراسة ، لعبدالله بن أحمد زقيلي ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٤- استنباطات الشيخ عبدالرحمن السعدي من القرآن عرض ودراسة، لسيف بن منصر بن علي الحارثي ، رسالة دكتوراة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٥- منهج الشيخ السعدي في المناسبات بين الآيات والسور ، لرشا بنت عبدالله بن محمد ، رسالة ماجستير ، جامعة القصيم .

٦- الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي مفسرا ، لعبدالله بن سايح الطيار ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٧- جهود الشيخ عبدالرحمن السعدي في العقيدة، لعبدالرزاق البدر، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

والملاحظ أن هذه الدراسات تحدثت عن جوانب كثيرة ولم تفرد التدبر عند الشيخ بالبحث والدراسة .

منهج البحث :

اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي وذلك باستقراء المادة العلمية مما كتبه الشيخ عن التدبر في مؤلفاته ، ثم تحليل ما كتبه من تأملات وفوائد ، ثم استنباط منهجه في التدبر .

وقد راعيت في البحث ما يلي:

١- قمت بجمع المادة العلمية من مؤلفات الإمام السعدي دون النظر إلى ترتيب السور والآيات .

٢- كانت دراستي للتدبر عند الإمام السعدي ببيان أسلوب التدبر والتطبيق عليه من كتبه ببيان وجه التدبر بذكر مثالين في الأساليب ولا أستقصي جميع المواطن .

٣- كتابة الآيات بالرسم العثماني ، وعزو الآيات الواردة في البحث إلى مواطنها في المصحف الشريف ، بذكر اسم السورة ورقم الآية .

٤- تخريج الأحاديث الواردة في البحث إذا كان الحديث في الصحيحين أكتفي بهما .

٥-بيان معاني المفردات بالرجوع إلى كتب معاجم اللغة وغيرها، وضبط الكلمات بالشكل إذا دعت الحاجة لذلك .

٦- توثيق النقول توثيقا كاملا وعزوها إلى مصادرها الأصلية ، وعند ذكر المرجع أول مرة يذكر كاملا ثم أكتفي بعد ذلك بذكر المصدر ومؤلفه والجزء والصفحة.

٧- ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في البحث .

٨- ترتيب المصادر والمراجع في آخر البحث حسب الحروف الهجائية.

خطة البحث :

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ، وهي كالتالي :

أما المقدمة فاشتملت على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وأهداف البحث ، والدراسات السابقة ، ومنهج البحث ، وخطة البحث.

وأما المباحث فهي كالتالي :

المبحث الأول : التعريف بالشيخ السعدي ، وأهم كتبه ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : التعريف بحياة الشيخ السعدي الشخصية والعلمية .

المطلب الثاني : أهم كتب الشيخ السعدي التي عنيت بالتدبر القرآني .

المبحث الثاني : مفهوم التدبر ، وموانعه ، ووسائله ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم التدبر .

المطلب الثاني : موانع التدبر .

المطلب الثالث : وسائل التدبر.

المبحث الثالث : مقاصد التدبر ، وفوائده ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مقاصد التدبر.

المطلب الثاني : فوائد التدبر.

المبحث الرابع : الأساليب المنهجية في تدبر القرآن مع التطبيق من كتب الشيخ السعدي ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الأساليب المنهجية في التدبر من خلال التطبيقات الموضوعية.

المطلب الثاني : الأساليب المنهجية في التدبر من خلال الدلالات الأصولية .

المطلب الثالث : الأساليب المنهجية في التدبر من خلال اللغة والبلاغة .

المبحث الرابع : خصائص الأساليب المنهجية في التدبر عند الشيخ السعدي .

الخاتمة وتشتمل على :

أولاً : النتائج .

ثانياً : التوصيات .

الفهارس وتشتمل على :

أولاً : فهرس المراجع .

ثانياً : فهرس الموضوعات .

وأخيراً أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبله في صالح أعمالنا ، وأن يجعله ذخراً ليوم معادنا ، وصلي اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه وسلم.

المبحث الأول : التعريف بالشيخ السعدي ، وأهم كتبه ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بحياة الشيخ السعدي الشخصية والعلمية .

المطلب الثاني : أهم كتب الشـــيخ الســـعدي التي عنيت بالتدبر القرآني.

المطلب الأول : التعريف بحياة الشيخ السعدي الشخصية والعلمية .

أولاً : حياته الشخصية (نسبه ونشأته).

هو الشيخ أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي ، من قبيلة تميم [١]، ولد في بلدة عنيزة في القصيم [٢]، وذلك بتاريخ الثاني عشر من محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة ، واسترعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم .

اشتغل في التعلم على علماء بلده وعلى من قدم بلده من العلماء ، فاجتهد ونال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم ، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم ، حتى أنه في عام ألف وثلاثمائة وخمسين صار التدريس ببلده راجعاً إليه ، ومعول جميع الطلبة في التعلم عليه [٣] .

---

[١] تميم : قبيلة أصبح أفرادها من حاضرة نجد وجبل شمر ، ونظراً لتحضرها فقد انعدمت من بينها الميزات التي تميز الأفخاد والعشائر كما يفعل القبائل المحافظة على عصبيتها. انظر :معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، عمر بن رضا بن عبدالغني كحالة ، ط (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، السابعة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) ، ج ١ ، ص ١٢٥.

[٢] القصيم : بلد قريب من التياج بسررة في أودية ، وفيه شجر الفاكهة والتين والخوخ والعنب والرمان . انظر: معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي ، ط (بيروت ، دار صادر ، الثانية ١٩٩٥م) ، ج ٥ ، ص ٢٦٢.

(٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، ط (الرياض، دار اليمامة ، الأولى ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م) ، ص ٢٥٥-٢٥٦ . وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ، محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، ط (مصر ، مطبعة الحلبي ، الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) ، ج ١ ، ص ٢١٩.

ثانياً : حياته العلمية .

اشـــتغل الشـــيخ الســـعدي بالعلم على علماء بلده ومن يرد إليها من العلماء ،وانقطع للعلم ، وجعل كل أوقاته مشـغولة في تحصـيله حفظاً وفهماً ودراسـةً ومراجعةً واسـتذكاراً حتى أدرك في صـباه مالا يدركه غيره في عمر طويل [١].

وكان يحفظ كثيراً من المتون العلمية ، وإذا اسـتشـهد بها رأيته يهذها لأنه كان يتعاهدها دائماً ، وإذا خاض في فن من الفنون تقول : هذا فنه المختص به [٢].

ثالثاً : ثناء العلماء عليه :

كان للشـــيخ الســـعدي مكانة علمية مرموقة عند من عرفه ، أو قرأ موروثه المتنوع ، لذا أشاد كثير من العلماء بفضله ، وعلمه ، وحسن خلقه، وحبه للخير، وكان محل التقدير والثناء عند العامة والخاصة.

وفيما يلي جملة من أقوال العلماء فيه :

---

[١] علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبدالله بن عبدالرحمن البســـام ، ط (الرياض ، دار العاصمة ، الثانية ١٤١٩هـ) ، ج ٣ ، ص ٢٢٠.

[٢] روضة الناظرين ، القاضي ، ج ٣ ، ص ٢٢١.

١- قال الشيخ عبدالعزيز بن باز [١] عنه : كان رحمه الله قليل الكلام إلا فيما تترتب عليه فائدة ، وكان متواضعاً ، حسن الخلق ، ومن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل [٢].

٢- وقال محمد حامد الفقي [٣]: لقد عرفت الشيخ السعدي من أكثر من عشرين سنة ، فعرفت فيه العالم السلفي المدقق المحقق الذي يبحث عن الدليل الصادق ، العالم الذي فهم الإسلام الفهم الصادق ، وعرفت فيه دعوته إلى الأخذ بكل أسباب الحياة العزيزة القوية الكريمة النقية [٤].

---

[١] هو : عبدالعزيز بن عبدالله آل باز ، ولد في الرياض عام ١٣٣٠هـ ، لزم الشيخ محمد عبداللطيف آل الشيخ عشر سنوات قرأ عليه الحديث والعقيدة والفقه والنحو والتفسير وغيرها ، تولى رئاسة الإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية عام ١٣٩٥هـ ، توفي في الطائف عام ١٤٢٠هـ ، وصلي عليه في المسجد الحرام ودفن بمقبرة العدل بمكة . انظر: جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز، محمد بن إبراهيم الحمد،(بدون طبعة)، ص٣٠.

[٢] صفحات من حياة علامة القصيم ، عبدالله الطيار ، ط (الدمام ، دار ابن الجوزي ، الأولى ١٤١٣هـ) ، ص ٩٧.

[٣] هو : محمد حامد عبده الفقي ، ولد بقرية نكلا العنب مديرية البحيرة بمصر عام ١٣١٠هـ ، درس بالأزهر الشريف علوم الفقه والنحو والحديث وغيرها ، حقق كثير من كتب التراث الإسلامي ، وهو مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية ، توفي عام ١٣٧٨هـ . انظر : جهود الشيخ محمد حامد الفقي في العقيدة ، موفق بن عبدالله كدسة ، ط (رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، الأولى ١٤٢٤هـ) ، ص ٤٥ .

[٤] تراجم لتسعة أعلام ، محمد بن إبراهيم الحمد ، ط (الرياض ، دار ابن خزيمة ، الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م) ، ص ٢٣٠.

٣- وقال ابن عثيمين [١] : إن الرجل قل أن يوجد مثله في عصره في عبادته وعلمه وأخلاقه ، وكان صبوراً على ما يلم به من أذى الناس [٢].

رابعاً : آثاره العلمية .

اهتم الشيخ السعدي بالتأليف اهتماماً موازياً لاهتمامه بنشر العلم عن طريق التعليم والتدريس ، والمتأمل لمؤلفات الشيخ يجد فيها إبداعاً وتجديداً ، فليست مجرد كتب جامعة فقط وإنما فيها إضافة ظهرت فيها شخصية الشيخ العلمية ، فالتفسير كتبَه مهتماً فيه ببيان المعنى مع الإشارة إلى الاستنباط والتدبر بطريقة سهلة مختصرة ، والفقه كتبَه بطريقة يستفيد منها القارئ دون حاجة إلى شروح .

وكتابات الشيخ السعدي ليست خاصة بفنٍ معين وإنما هي متنوعة وسأقتصر على بعضها [٣]:

أولاً : مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن.

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، (مطبوع عدة مرات، مؤسسة الرسالة) .

---

[١] هو : محمد بن صالح بن عثيمين ، الفقيه المفسر ، العالم الزاهد ، ولد سنة ١٣٤٧هـ بعنيزة ، تعلم القرآن ثم تفرغ للعلوم الأخرى فأتقنها ، درس بالمعهد العلمي وجامعة الإمام وغيرهما ، من مؤلفاته : شرح القواعد الحسان ، وتفسير القرآن الكريم وغيرها ، توفي سنة ١٤٢١هـ ، انظر : الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة ابن عثيمين، عصام ابن عبد المنعم المري ، ط (مصر ، دار البصيرة ، الأولى ١٤٢٢ هـ) ، ص ١٧.

[٢] صفحات من حياة علامة القصيم ، عبدالله الطيار ، ص ٩٨.

[٣] علماء نجد خلال ثمانية قرون ، البسام ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ ، مشاهير علماء نجد ، عبداللطيف آل الشيخ ، ص ٢٥٨-٢٦٠.

٢- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، (مطبوع عدة مرات ، مكتبة الرشد) .

٣- المواهب الربانية من الآيات القرآنية ، (مطبوع عدة مرات ، دار الحضارة) .

٤- فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام ، (مطبوع في مجلدة صغيرة مستقلة ، أضواء السلف) .

٥- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن ، (مطبوع ، دار الفضيلة).

ثانياً : مؤلفاته في الحديث .

١- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار ، وهو شرح لتسعة وتسعين حديثاً من الأحاديث الجوامع ، (طبع مرتين ، مكتبة الرشد) .

ثالثاً : مؤلفاته في العقيدة .

١- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين ، وهو رد على الملحدين من ثلاثة وثمانين وجهاً ، (طبع أكثر من مرة ، مكتبة المعارف) .

٢- الرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة ، هو كتاب تضمن أبواب مختلفة من آداب وأخلاق ومعاملات ، (طبع ثلاث مرات ، دار المنهاج) .

٣- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، جمع فيه أصول شجرة الإيمان وفوائده ، (مطبوع ، أضواء السلف) .

٤- الرسائل المفيدة بأهم المهمات ، تضمنت أسئلة في أمور العقيدة ، (مطبوع ، نشرها عبدالسلام العبد الكريم) .

رابعاً : مؤلفاته في الفقه وأصوله .

١- القواعد الفقهية وشرحها ، وهي منظومة لطيفة نظمها في أمهات مسائل الدين ، (مطبوع ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت) .

٢- القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة ، تضمن ستين قاعدة من القواعد الفقهية ، (مطبوع ، مكتبة السنة).

٣- الفتاوى السعدية ، تضمن فتاوى الشيخ في مسائل كثيرة، (مطبوع، مكتبة المعارف) .

٤- المختارات الجلية من المسائل الفقهية ، تضمن ترجيحات الشيخ في كثير من المسائل ، (مطبوع ، دار الآثار).

خامساً : مؤلفاته في الثقافة الإسلامية .

١- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، (طبع مرتين ، مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية) .

٢- الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي ،(مطبوع ،الرئاسة العامة للبحوث والافتاء بالرياض) .

خامساً : وفاته .

انتقل إلى رحمة الله عام ١٣٧٦هـ ، عن عمر يقارب ٦٩ عاماً ، قضاها في العلم تعلماً وعلماً وإفتاءً وتأليفاً، وصلي عليه صلاة الظهر في الجامع الكبير بعنيزة ، ودفن في مقبرة الشهوانية [١].

المطلب الثاني: أهم كتب الشيخ السعدي التي عنيت بالتدبر القرآني.

كان للشيخ السعدي قراءات خاصة بتدبر القرآن ، بل ربما تدبر الآية أكثر من مرة ، وربما صنف بعض المصنفات المتعلقة بالقرآن أثناء تدبره في شهر القرآن ، كما في كتابي " المواهب الربانية " و " القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن " وسوف نعرف تعريفاً مختصراً بالكتب محل الدراسة :

الكتاب الأول : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .

يعتبر تفسير الشيخ السعدي من أكمل التفاسير التي اختصرت الأسانيد، للتيسير على عامة الناس ، فهو تفسير يميل إلى الإيجاز مع وضوح المعنى ، ويعتمد المعنى الإجمالي للآيات حيث يورد مجموعة من الآيات ثم يفسرها آية آية ، وقد يتحدث عنها إجمالاً ثم تفصيلاً موجزاً ، ويُعرض عن الإسرائيليات ، ويستطرد أحياناً في ذكر فوائد الآيات وما تدل عليه من الأحكام الشرعية والهدايات القرآنية [٢].

---

[١] علماء نجد خلال ثمانية قرون ، البسام ،ج ٣ ، ص ٢٥٠.

[٢] دراسات في علوم القرآن ، فهد عبدالرحمن بن سليمان الرومي ،(الطبعة الثانية عشر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) ، ص ١٦٤.

يقول عنه الشيخ عبدالله بن عقيل : جاء هذا التفسير سهل العبارة ، واضح الإشارة ، وصاغه على نمطٍ بديع بعباراتٍ قريبة لا خفاء فيها ولا غموض ، دون إطالة أو استطراد أو ذكر قصص او إسرائيليات ، أو ذكر أنواع الإعراب إلا في النادر الذي يتوقف عليه المعنى ، وقد اهتم بترسيخ العقيدة السلفية ، واستنباط الأحكام الشرعية والفوائد الفقهية إلى غير ذلك من الفوائد [1].

ومن مميزاته كما ذكر الشيخ ابن عثيمين :

١- سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه.

٢- تجنب الحشو والتطويل الذي لافائدة منه إلا إضاعة وقت القارئ وتبلبل فكره .

٣- تجنب ذكر الخلاف إلا أن يكون قوياً تدعو الحاجة إلى ذكره ، وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارئ حتى يثبت فهمه على شيء واحد .

٤- السير على منهج السلف في آيات الصفات فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه في تقرير العقيدة .

٥- دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام وهذا يظهر جلياً في بعض الآيات كآية الوضوء في سورة المائدة حيث استنبط منها خمسين حكما .

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي ، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، ط (مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ، ص ٩ .

٦- وهو كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة ، ومن أجل هذا أشير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم [١].

ثانياً : القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن .

ألف هذا الكتاب غرة شهر رمضان المبارك عام ١٣٦٥هـ ، وانتهى منه في ٦ شوال من نفس العام ، وهذا الكتاب يشتمل على سبعين قاعدة تعين قارئها على فهم القرآن الكريم ، فهو يحتوي على أصول وقواعد في التفسير ، إضافة إلى جملة من الفوائد والإرشادات القرآنية، كتبها الشيخ بعبارات موجزة يسهل حفظها ، بدأ فيه الشيخ بذكر القواعد والضوابط موجزة ثم يذكر أمثلة لكل قاعدة تفسيرية توضحها كما تجنب ذكر الأدلة على القاعدة ، وسرد الخلاف، يقول الشيخ السعدي مبيناً هدفه من تأليف هذا الكتاب :

فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم ، جليلة المقدار ، عظيمة النفع ، تعين قارئها ومتأملها على فهم كلام الله ، والاهتداء به ، ومخْبرُها أجلّ من وصفها ، فإنها تفتح للعبد من طرق التفسير ومناهج الفهم عن الله ما يغني عن كثير من هذه التفاسير الخالية من هذه البحوث النافعة [٢].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١١.

[٢] القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، عبدالرحمن بن ناصر بن حمد السعدي ، ط(الرياض ، مكتبة الرشد ، الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م) ، ص ٧.

ثالثاً : المواهب الربانية من الآيات القرآنية .

رسالة كتبها الشيخ تضمنت فوائد ولطائف فتح الله بها عليه أثناء قراءته لكتاب الله في شهر رمضان عام ١٣٤٧هـ ، وهي فوائد مستنبطة من بعض السور القرآنية مرتبة حسب ترتيبها في المصحف ألحق بها بعض المباحث المهمة كأركان الإيمان ، وتدبر لأسماء الله، وختمه بمبحث في لطف الله بعباده .

ومن أهم ما تميز به هذا الكتاب :

١- أنه من أواخر ما كتبه الشيخ في التفسير والتدبر .

٢- حشوه بالتوجيهات السلوكية والتربوية على عادته ، فقد كان عالماً رباني إماماً مصلحاً .

٣- تضمنه لبعض الاختيارات الفقهية [١].

[١] المواهب الربانية من الآيات القرآنية ، عبدالرحمن بن ناصر بن حمد السعدي ، اعتنى به عمر بن عبدالله المقبل ، ط (الرياض ، دار الحضارة ، الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م) ، ص ٨-٩.

المبحث الثاني: مفهوم التدبر، وموانعه، ووسائله، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم التدبر .

المطلب الثاني : موانع التدبر.

المطلب الثالث : وسائل التدبر.

المطلب الأول : مفهوم التدبر .

أولاً : مفهوم التدبر في اللغة والاصطلاح ، وعند الشيخ السعدي :

التدبر في اللغة :

قال ابن منظور[١] : الدبر هو عقب كل شـــيء ومؤخره ، ودبّر الأمر وتدبّره نظر في عاقبته ، وعرف الأمر تدّبراً أي بآخره ، والتدبر التفكر فيه ، والتدبير أن يتدبر الرجل أمره ، ويدبره أي ينظر في عواقبه [٢].

وقال ابن فارس : دبر الدال والباء والراء أصـــل هذا الباب أن جله في قياس واحد وهو آخر الشئ ، وخلْفُه ، والتدبير أن يدبر الإنسان أمره ، وذلك أن ينظر إلى ما تصير عاقبته وآخره [٣].

---

[١] هو : محمد بن مكرم بن علي أبو الفضـــل جمال الدين بن منظور ، الإمام اللغوي الحجة ، ولد بمصر وولي قضاء طرابلس ، وترك بخطه نحو خمسمائة مجلد ، كان مغرى باختصـــار كتب الأدب المطولة ، من مصـــنفاته : مختار الأغاني ، مختصـــر مفردات البيطار وغيرها ، توفي ســـنة ٧١١هـ انظر : الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي، ط (بيروت ، دار العلم ، الخامسة عشر ٢٠٠٢م) ج ٧، ص١٠٨.

[٢] لســـان العرب ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضـــل جمال الدين ابن منظور ، ط (بيروت ، دار صادر ، الثالثة ١٤١٤هـ) ، ج ٤ ، ص ٢٧٣، مادة دبر .

[٣] معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، تحقيق عبدالســـلام محمد هارون ، ط (بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) ، ج ٢ ، ص ٣٢٤.

وقال الجرجاني [١]:التدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور ، وهو قريب من التفكر إلا أن التفكر تصـــرف القلب بالنظر في الدليل ، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب [٢].

والملاحظ على هذه المعاني تقاربها وأن جلّها مأخوذ من النظر في أدبار الشـئ وعواقبه ، وندرك أن دلالات هذه المادة ترشـدنا أن التدبر يحتاج إلى تتبع وتعمق ونظر في مآلات العواقب.

وقد جمع ابن القيم هذه المعاني بكلام جامع في أثناء تعريفه للتدبر حيث قال :

تدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة ، ولهذا جاء على بناء التفعل كالتفهم [٣].

هذا وإن مجئ مصطلح التدبر على صيغة التفعل يفيد عدة أمور أهمها:

---

[١] هو : علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني ، من كبار العلماء بالعربية ، عالم بلاد الشـــرق ، كان ذا فصـــاحة وطلاقة وعبارة رشـــيقة ، ومعرفة بطرق المناظرة ، والمباحثة ، والاحتجاج ، من مصـنفاته : حاشـية المختصـر ، وحاشـية المطول ، كانت وفاته سنة ٨١٤هـ . انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين الســـيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضـــل إبراهيم ، ط (بيروت ، المكتبة العصـرية) ، ج ٢ ، ص ١٩٦.والضـوء اللامع لأهل القرن التاسـع ، شـمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن عثمان السخاوي، ط (بيروت ، دار مكتبة الحياة) ، ج٥ ، ص ٣٢٩.

[٢] التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشـــريف الجرجاني ، تحقيق جماعة من العلماء ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) ، ص ٥٤.

[٣] مفتاح دار الســعادة ، محمد بن أبي بكر بن أيوب شــمس الدين ابن قيم الجوزية ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية) ، ج ١ ، ص ١٨٣.

١- التكلف وبذل الجهد .

٢- التدرج والتمهل .

٣- التكثير والمبالغة ، وحصـــول الفعل مرة بعد أخرى مع الصـــبر والتحمل [١].

التدبر في الاصطلاح :

هو التفكر الشامل الواصل إلى آخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة [٢].

معنى تدبر القرآن :

هو تفهم معاني ألفاظه ، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقةً وما دخل في ضـــمنها ، ومالا تتم تلك المعاني إلا به مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشـــارات والتنبيهات ، وانتفاع القلب بذلك ، بخشـــوعه عند مواعظه ، وخضوعه لأوامره ، وأخذ العبرة منه [٣].

وبناءً على ذلك نســـتطيع القول : إن التدبر عملية عقلية ذهنية ، قد ينشأ عنه التأثر وهو أمر وجداني ، وقد ينشأ عنه العمل والامتثال وهو غاية العلم ، وهو أمر يقوم على تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي .

---

[١] مفهوم التدبر عند اللغويين ، عويض العطوي ، مطبوع ضـــمن كتاب مفهوم التدبر – تحرير وتأصيل ، ط (مركز تدبر للإستشارات التربوية ، الأولى ١٤٣٠هـ) ، ص ٣٤.

[٢] قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ، عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني ، ط (دمشق ، دار القلم ، الرابعة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م) ، ص ١٠.

[٣] تدبر القرآن ، ســـليمان بن عمر الســـنيدي ، ط (الرياض ، مجلة البيان ، الثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م) ، ص ١١.

ثانياً : مفهوم التدبر عند الشيخ السعدي :

تدبر كتاب الله هو التأمل في معانيه وتحديق الفكر فيه ، وفي مبادئه وعواقبه ولوازم ذلك [١].

وقد بين الشيخ السعدي صورة التأمل في ذلك فقال :

والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع أن تفهم ما دل عليه اللفظ من المعاني ، فإذا فهمتها فهماً جيداً ففكر في الأمور التي تتوقف عليها ، ولا تحصل بدونها ، وما يشترط لها ، وكذلك فكر فيما يترتب عليها ، وما يتفرع عنها وينبني عليها ، وأكثر من هذا التفكير وداوم عليه حتى تصير لك ملكة جيدة في الغوص على المعاني الدقيقة ، فمن وفق لهذه الطريقة وأعطاه الله توفيقاً ونوراً انفتحت له في القرآن العلوم النافعة والمعارف الجليلة [٢].

وهذا الذي ذكره الشيخ أفاده ممن سبقه من المفسرين :

قال البيضاوي [٣] : "يتدبرون القرآن "أي يتأملون في معانيه ويتبصرون

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١٨٩.

[٢] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ٣٢.

[٣] هو : عبدالله بن عمر بن محمد بن علي ناصر الدين البيضاوي ، القاضي ، كان إماماً مبرزاً صالحاً متعبداً زاهداً ، ولي قضاء القضاة بشيراز ، من مصنفاته : الطوالع ، والمنهاج ، توفي سنة ٦٨٥هـ .انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي ، تحقيق محمود الطناحي – عبدالفتاح الحلو ، ط (هجر ، الثانية ١٤١٣هـ) ، ج ٨ ، ص ١٥٧.

ما فيه ، وأصل التدبر النظر في أدبار الشئ [١].

وقال الآلوسي [٢] : أصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ، ثم استعمل في كل تأمل ، سواء كان نظراً في حقيقة الشئ وأجزائه ،أو سوابقه وأسبابه ، أو لواحقه وأعقابه [٣].

وقال الزمخشري [٤] : تدبر الأمر تأمله والنظر في إدباره ، وما يؤول

---

[١] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي ، ط (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الأولى ١٤١٨هـ) ، ج ٢ ، ص ٨٦.

[٢] هو : محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني ، مؤرخ عالم بالأدب والدين ، من الدعاة إلى الإصلاح ، ولد في بغداد ، حمل على أهل البدع في الإسلام ، له ٥٢ مؤلف بين كتاب ورسالة ، من مصنفاته بلوغ الأرب في أحوال العرب ، وتاريخ نجد وغيرها ، توفي سنة ١٣٤٢هـ . انظر : الأعلام ، الزركلي ، ج ٧ ، ص ١٧٢.

[٣] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي ، تحقيق علي عبدالباري عطية ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٥هـ) ، ج ٣ ، ص ٨٩.

[٤] هو : محمود بن عمر أبو القاسم الخوارزمي الزمخشري ، النحوي ، اللغوي ، المفسر ، المعتزلي ، يلقب بجار الله لأنه جاور بمكة زماناً ، من مصنفاته : المفصل ، وأساس البلاغة ، توفي سنة ٥٣٨هـ . انظر :العبر في خبر من غبر ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية) ، ج ٢ ، ص ٤٥٥.

إليه في عاقبته ومنتهاه ، ثم استعمل في كل تأمل ، فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه [١].

وقال النسفي [٢]: التأمل والنظر في أدبار الأمور ، وما يؤول إليه في عاقبته[٣].

يتضح مما سبق : أن المفسرين المتقدمين لم يعرفوا التدبر بتعريف اصطلاحي خاص ينفرد عن التعريف اللغوي ، لأن كلمة التدبر من الكلمات الواردة في القرآن على أصل معناها اللغوي ، وبه فسرت الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة ، وإن كان معناها أخص عندهم من اللغويين ، فهي تدور عندهم على إعمال الفكر والنظر والتأمل والتفهم في آيات القرآن الكريم ، للتوصل إلى معانيه ومقاصده ، والعمل بها .

---

[١] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، ط (بيروت ، دار الكتاب العربي، الثالثة ١٤٠٧هـ) ، ج ١ ، ص ٥٤٠.

[٢] هو : عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، نسبة إلى نسف من بلاد ما وراء النهر ، الحنفي ، أحد الزهاد المتأخرين ، صاحب تصانيف متنوعة في الأصول والفقه وغيرهما ، من مصنفاته : متن الوافي في الفروع ، والمنار في أصول الفقه وغيرهما ، توفي سنة ٧٠١هـ .انظر :الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، أبو الحسنات محمد عبدالحي اللكنوي الهندي ، ط (مصر ، مطبعة دار السعادة ، الأولى ١٣٢٤هـ) ، ص ١٠١.

[٣] مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق يوسف علي بديوي ، ط (بيروت ، دار الكلم الطيب ، الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) ، ج ١ ، ص ٣٧٨.

ثالثاً : الفرق بين التدبر ، والاستنباط ، والتفكر ، والتأمل :

أولاً : الفرق بين التدبر والاستنباط .

الاستنباط في اللغة :قال ابن فارس [١] : النون والباء والطاء كلمة تدل على استخراج شيء ، واستنبطت الماء استخرجته [٢].

وعرفه الجرجاني اصطلاحاً بأنه : استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة [٣] .

وعلى ذلك فإنه يمكن أن يفرق بين التدبر والاستنباط في الأمور الآتية[٤] :

١- بالنظر في أصلهما في اللغة يتبين الفرق بينهما ، فالتدبر هو النظر إلى أدبار الشئ ونهاياته ، وهذا يدخل فيه الدلالات والنهايات من الانتفاع والاهتداء ، وأما الاستنباط فهو استخراج ماخفي ، وهذا مقصور في الدلالات .

---

[١] هو : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المعروف بالرازي ، كان رأساً في الأدب ، بصيراً بفقه مالك ، مناظراً متكلماً ، جمع اتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر ، من مصنفاته : المجمل ، وفقه اللغة ، وحلية الفقهاء ، توفي سنة ٣٩٥هـ ، انظر: سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الثالثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ،ج ١٧ ، ص ١٠٣، ومعجم الأدباء ، شهاب الدين ياقوت الحموي ، تحقيق إحسان عباس، ط (بيروت، دار الغرب الإسلامي، الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م) ج١،ص ٤١٨.

[٢] معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ج ٥ ، ص ٣٨١.

[٣] التعريفات ،الجرجاني ، ص ٨٣.

[٤] مفهوم التدبر – تحرير وتأصيل ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٦.

٢- أنهما يجتمعان في إعمال الفكر والنظر والتأمل ، ويختلفان في الغرض ، فغرض المستنبط العلم بدقائق المعاني والدلالات والهدايات ، وهو خاص بخواص العلماء ، وغرض المتدبر يتجاوزه إلى قصد الانتفاع والامتثال والعمل ، وهو عام لجميع الناس .

٣- أنه يشترط في التدبر قصد الانتفاع والامتثال ، بخلاف الاستنباط إنما يشترط فيه وجود ما يدل عليه في النص بشروط وضوابط .

٤- أن الاستنباط نتيجة للتدبر فهو فرع منه ، وذلك أن التدبر هو الوقوف مع الآيات والتأمل فيها ، فينتج من ذلك الاستنباط .

ثانياً : الفرق بين التدبر والتفكر .

الفكر في اللغة :قال ابن فارس : الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشئ ، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبراً [١] .

وعرفه الجرجاني اصطلاحاً بأنه : تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب [٢] .

وعلى ذلك يمكن أن يفرق بين التدبر والتفكر في الأمور الآتية :

١-أن التدبر أظهر في الآيات القرآنية ، والتفكر أظهر في النظر في الآيات الكونية الواقعة والمشاهدة ، كما قال تعالى ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يونس: ٢٤

[١] معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ج ٤ ، ص ٤٤٦.

[٢] التعريفات ، الجرجاني ، ص ٦٣.

٢- أن التدبر تصـــرف القلب بالنظر في عواقب الأمور ، بينما التفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل والمعاني [١] .

٣- أن التفكر مقتصر على الذهن ، فهو إدامة النظر العقلي في الآيات والإشارات فقط ،بينما التدبر ليس مقتصراً على الذهن فقط ، بل هو مرحلة من ذلك ، ثم يتبعه مرحلة التطبيق والعمل [٢].

ثالثاً : الفرق بين التدبر والتأمل .

التأمل هو : التثبت ، يقال تأمل الرجل أي تثبت في الأمر وتحقق منه [٣].

وجاء في الفروق اللغوية أن التأمل هو : النظر المؤمل به معرفة ما يطلب ، ولا يكون إلا في طول مدة [٤].

وعليه فالتأمل يعني النظر في الأمور بغرض التثبت والتحقق .

وعلى ذلك يمكن أن يفرق بين التدبر والتأمل كما يأتي :

١- التأمل أعم من التدبر ، حيث عرفه ابن القيم بقوله : هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقله [٥] ، فجعله

---

[١] الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، ط (القاهرة ، دار العلم والثقافة)، ص ٧٥.

[٢] تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، رقية جابر العلواني ، ط (المعهد النســـوي للتكوين الشرعي ، الرابعة ٢٠٠٨م) ، ص ٩.

[٣] لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١١ ، ص ٢٧.

[٤] الفروق اللغوية ، العسكري ، ج ١ ، ص ٥٤٣.

[٥] مدارج الســالكين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب شـمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد المعتصـــم بالله البغدادي ، ط (بيروت ، دار الكتاب العربي ، الثالثة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م) ، ج ١ ، ص ٤٥١.

جامعاً للوقوف على المعاني ثم تحديق النظر فيها ثم جمع الفكر على تدبرها ، أما التدبر فهو الفكر الواصـــل إلى أواخر دلالات الكلام .

٢- أن التدبر من عمل القلب وحده فهو بالبصـــيرة ، بخلاف التأمل يحدث بالبصـــر وحده أو بالبصـــر يعقبه التفكر ويحتاج إلى وقت طويل وتثبت في الأمور .

يتضـح مما سـبق أن التدبر أو الاسـتنباط أو غيرها من المعاني تعد درجات في فهم القرآن والتعامل معه ، تتنوع بتنوع الأشـخاص وقدراتهم الذهنية ، ولن يُحرم أحدنا هذه الدرجات بفضل الله .

المطلب الثاني : موانع التدبر .

الناظر في دنيا الناس يجد أن بعضـــاً من الأمور تشّـــكل حجاباً بينهم وبين تعاملهم مع كتاب ربهم ، تدبراً وفهماً ، وهذا ما سنتناوله فيما يأتي :

١- أمراض القلوب والإصرار على المعاصي .

إن من أعظم ما يمنع القارئ من الانتفاع بمواعظ القرآن وأحكامه أن يكون قلبه مصاباً ببعض الأمراض التي تحجب أنوار القرآن عنه .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤

قال السـعدي : هؤلاء المعرضـون عن كتاب الله فإنهم لو تدبروه لدلهم على كل خير ، ولحذرهم من كل شـر ، ولملأ قلوبهم من الإيمان ، أم على قلوب أقفالها قد أغلق على مافيها من الشر وأقفلت فلا يدخلها خيرٌ أبدا [١].

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٧٨٨.

أنكر تعالى عليهم إعراضـــهم عن تدبر القرآن بأداة الإنكار التي هي الهمزة ، وبين أن قلوبهم عليها أقفال لا تنفتح لخير ولا لفهم قرآن [١].

ومن الأمراض القلبية المانعة من التدبر : الحســـد والحقد والنفاق والرياء والكبر وغيرها ، وكذلك تحجب أنوار القرآن عن قلب صـــاحب البدعة ، والمصـــر على ذنب أو معصـــية ، وكلها حجب تتفاوت فيما بينها في منع التدبر .وفي ذلك يقول الزركشـي [٢]: واعلم أنه لا يحصـل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصـــرار أو ذنب أو في قلبه كبر أو هوى ، أو حب الدنيا ،وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض [٣].

---

[١] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الشنقيطي ، ط (بيروت ، دار الفكر ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) ، ج ٧ ، ص ٢٥٦.

[٢] هو : محمد بن بهادر بن عبدالله ، بدرالدين أبو عبدالله الزركشـــي ، العالم العلامة المصـنف المحرر ، أخذ عن الشـيخين الإسـنوي والبلقيني ، كان فقيهاً أصـولياً أديباً ، من مصـنفاته : البحر في الأصـول ، وشـرح المنهاج وغيرها ، توفي سـنة ٧٩٤هـ . انظر : طبقات الشافعية ، أبو بكر أحمد بن عمر الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة ، تحقيق الحافظ عبدالعليم خان ، ط (بيروت ، عالم الكتب ، الأولى ١٤٠٧هـ) ، ج ٣، ص١٦٧.

[٣] البرهان في علوم القرآن ، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشـــي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط (دار إحياء الكتب العربية ، الأولى ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م)، ج ٢ ، ص ١٨٠.

٢- قصر تدبر القرآن على المجتهدين فقط .

أفضل من أبان هذه المسألة العلامة الشنقيطي [١]حيث قال : إعلم أن قول بعض متأخري الأصوليين إن تدبر هذا القرآن العظيم وتفهمه والعمل به لا يجوز إلا للمجتهدين خاصة ، وإن كل من لم يبلغ درجة الاجتهاد المطلق بشروطه المقررة عندهم التي لم يستند اشتراط كثير منها إلى دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع ، ولا أثر عن الصحابة ، قولٌ لا مستند له من دليل شرعي أصلاً ،بل الحق الذي لا شك فيه أن كل من له قدرة من المسلمين على التعلم والتفهم ، وإدراك معاني الكتاب والسنة يجب عليه تعلمهما ، والعمل بما علم منهما ،ومعلوم أن هذا الذم والإنكار على من لم يتدبر كتاب الله عام لجميع الناس [٢].

يتبين مما سبق أن قصر التدبر على المجتهد فقط ، قول ضعيف ، فلا يصح قصره على فئة معينة من العلماء ، بل الواجب على كل مسلم أن يقبل على كتاب ربه ، ويسعى للتعلم الذي يوصله إلى ذلك التدبر ، وليعلم أنه بحسب علم المرء يكون تدبره وفقهه في كتاب الله .

٣- المبالغة في تجويد الحروف دون التدبر.

الأصل في قارئ القرآن أن يهتم بمعاني القرآن الكريم ، ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن من الوسوسة في

---

[١] هو : محمد المختار بن الأمين الجكني الشنقيطي ، كان فقيهاً مؤرخاً ، بارعاً في عدة فنون، في التفسير والأصول والفقه ، توفي بمكة سنة ١٣٩٣هـ ، انظر :طبقات النسابين، بكر بن عبدالله أبو زيد ، ط (الرياض ، دار الرشد ، الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) ، ص ٢٠٥.

[٢] أضواء البيان ، الشنقيطي ، ج ٧ ، ص ٢٥٨.

خروج الحروف ، وترقيقها وتفخيمها ، وإمالتها والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط ، وشغله بالوصل والفصل ، والإضجاع والإرجاع والتطريب وغير ذلك ، مما هو مُفض إلى تغيير كتاب الله والتلاعب به والتنطع ، مما يحيل القلوب ويقطعها عن فهم مراد الرب من كلامه [١].

ومن تأمل هدي رسول الله وإقراره أهل كل لسان على قراءتهم يتبين له أن التنطع والتشدق والوسوسة في إخراج الحروف ليس من سنته [٢].

وقد دب في أمتنا منذ زمن داءٌ خطير يتعلق بتعاملهم مع كتاب ربهم ، وهو الوقوف عند جمال صوت القارئ وحسن ترنيماته ، دون التعلق بأدنى شيء من معاني الآيات وفقهها ، وكثيراً ما نسمع صوت أحدهم يصيح بقوله : الله الله ، طرباً لعذوبة صوت القارئ ، دون تدبر المعاني.

٤- الحرص على الحفظ دون التدبر .

هذا الأمر يتجلى واضحاً في طريقة تلقي القرآن وتعليمه لدى الأشخاص أو المؤسسات التعليمية القرآنية ، معظمها لا تعني بهذا الجانب ، وجل عنايتهم منصب على الحفظ ، وهذا جيد لكن لا ينبغي الاكتفاء به وحده بل لابد من الفهم والتدبر .

---

[١] حاشية مقدمة التفسير ، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ، (بدون ناشر ، الثانية ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) ، ص ١٥٦.

[٢] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ،محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية ،تحقيق محمد حامد الفقي ، ط (الرياض ، مكتبة المعارف) ، ج١ ، ص١٦٢.

عن ابن عمر [1] قال : كان الفاضل من أصحاب رسول الله في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها ، ورزقوا العمل بالقرآن ، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به [2].

والمطلوب الرجوع على طريقة السلف في تلقي القرآن وتعلمه ، وذلك بحفظ قدر من الآيات وعدم مجاوزتها إلا بعد معرفة معانيها وتدبرها خاصةً لكبار الناشئة .

٥- قصر سماع القرآن على أحوال معينة .

من الخطأ أن لا يسعى المرء إلى سماع القرآن إلا عند مرضه ، أو موت قريبه ، أو حال حزنه فقط ، أما إذا كان في حال صحته وكمال عقله وصفاء ذهنه فإنه لا يتشوف إلى سماع القرآن أو قراءته ، فحرم نفسه سلوك السبيل إلى تدبر القرآن .

---

[1] هو : عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، ولد سنة ثلاث من البعثة، أسلم مع أبيه وهاجر ، وعرض على النبي ببدر فاستصغره وكذلك أحد وأجازه بالخندق ، كان يحفظ ما سمع من رسول الله ، وكان لا يترك حجاً ، توفي سنة ٧٣هـ . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود – علي محمد عوض ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٠هـ) ، ج ٤ ، ص ١٦١.

[2] الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي ، تحقيق أحمد البردوني – إبراهيم أطفيش ، ط (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م)، ج ١ ، ص ٤٠.

فمن الناس من قصر الخشوع في رمضان ، أو في القنوت ، أو عند خشوع الإمام ، أو عند آيات العذاب وذكر النار وأهوال القيامة ، ومعلوم أن أسباب الخشوع ودواعيه متعددة ، ففعله صلى الله عليه وسلم عند التلاوة فيه خشوع وتدبر ، فهو ينزه ويسبح عند آيات الأسماء والصفات، ويسأل الله من فضله عند ذكر جنته وإنعامه وفضله ورحمته ، ويستعيذ عند ذكر النار والعذاب [١].

وحضور القلب في هذه الأوقات طيب ، لكن الأطيب منه أن يدوم التدبر في كل قراءة وتلاوة لكتاب الله في جميع الأوقات والأحوال.

٦- الكبر على الحق .

الكبر من أعظم الموانع التي تحول بين المرء وبين الانتفاع بالقرآن ، قال تعالى﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ﴾ الأعراف: ١٤٦

ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ، ولا يعتبرون بها ، لإصرارهم على ماهم عليه من التكبر والتجبر [٢] ، ومن كان بهذه الصفة حرمه الله خيراً كثيراً وخذله ، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به ، بل ربما انقلبت عليه الحقائق واستحسن القبيح [٣].

---

[١] تدبر القرآن ،السنيدي ، ص ٥١.

[٢] ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي محمد بن مصطفى ، ط (بيروت ، دار إحياء التراث العربي) ، ج ٣ ، ص ٢٧١.

[٣] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٠٢.

٧- اتباع الهوى .

من أعظم الصـــوارف عن فهم كتاب الله اتباع الهوى ، لأنه يجعل صـــاحبه يصر على الخطأ الذي هو عليه .

قال الســعدي في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ محمد: ١٦

أي ختم عليها ، وسـد أبواب الخير التي تصـل غليها بسـبب اتباعهم أهوائهم التي لا يهوون فيها إلا الباطل[1].

المطلب الثالث : وسائل التدبر.

إن معرفة الأســاليب المعينة على تدبر القرآن الكريم من أهم ما ينبغي أن يحرص عليه قارئ القرآن ، ويمكن أن نقسم هذه الوسائل إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الوسائل المعينة على التدبر قبل القراءة .

وهي الوســـائل التي تســـبق عملية التدبر ، وهي بمثابة تمهيد له ، وتتلخص فيما يلي :

[1] تيسير الكريم الرحمن ، ص ٧٥٣.

أولاً : تهيئة القلب قبل البدء في التلاوة والتدبر .

وإعداد القلب وتهيئته قبل التدبر تكون من خلال استحضار عظمة الله تعالى وعظمة كلامه قبل التلاوة ، فإذا امتلأ القلب مهابة وتعظيماً لله عظّم كلامه ، وأقبل عليه متأملاً متدبراً .

يقول المحاسبي [١]: فإذا عظم في صدرك تعظيم المتكلم به لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذّ ولا أحلى من استماع كلام الله جلّ وعز ، وفهم معاني قوله تعظيماً وحباً له وإجلالاً ، إذ كان تعالى قائله ، فحب القول على قدر حب قائله [٢].

وفي ذلك يقول السعدي : فيه إرشاد إلى تطهير القلوب واستحضار علم الله كل وقت ، فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلاً لكل فكر ردئ ، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتابه [٣].

---

[١] هو : الحارث بن أسد المحاسبي ، أبو عبدالله ، ولد ونشأ بالبصرة ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، واعظاً مبكياً ، وله تصانيف في الزهد ، والرد على المعتزلة وغيرهم ، من مؤلفاته : آداب النفوس ، شرح المعرفة ، وغيرها ، مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ ، انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ،ط (بيروت ، دار المعرفة،الأولى ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م) ، ج١ ، ص ٤٣٠.

[٢] فهم القرآن ومعانيه ،الحارث بن أسد المحاسبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط (بيروت ، دار الفكر ، الثانية ١٣٩٨هـ) ، ص ٣٠٢.

[٣] تيسير الكريم الرحمن ،السعدي ، ص ١٢٧.

ثانياً : الوقوف على شـيءٍ من أحوال النبي والسـلف في تعاملهم مع القرآن .

لابـد للمتـدبر من الوقوف على جملـة من ذلـك ليقف على المنهج الأصـيل لقراءة القرآن وتدبره ، ويعرف حال من نزل عليه القرآن وحال المعاصرين له ، فإن ذلك أدعى للامتثال وأحرى بالاقتداء .

قال السعدي : فاعلم أن هذا القرآن أنزله الله لهداية الخلق وإرشادهم ، وأنه في كل وقت وزمان يرشد إلى أهدى الأمور وأقومها ، فعلى الناس أن يتلقوا معنى كلام الله كما تلقاه الصحابة رضي الله عنهم ، فإنهم إذا قرؤوا عشـر آيات أو أقل أو أكثر ، لم يتجاوزوها حتى يعرفوا ما دلت عليه من الإيمان والعلم والعمل [١].

وهذا المنهج بينه أصـحاب النبي للناس ، فعن ابن مسـعود رضـي الله عنه قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن [٢].

فكان هذا المنهج في تلقي القرآن معيناً على تدبره وتفهمه واتباعه في معاملاتهم وسلوكياتهم ، في بيعهم وشرائهم ، وحربهم وسلمهم ، حتى أصبح واحدهم كأنه قرآن يمشي على الأرض .

---

[١] القواعد الحسان ،السعدي ، ص ٩ .

[٢] جامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن غالب ، أبو جعفر الطبري ، تحقيق أحمد شـاكر ، ط (بيروت ، مؤسـسـة الرسـالة ، الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م) ، ج ١ ، ص ٨٠.

ثالثاً : الإقبال على القرآن الكريم .

من المعلوم أن من أحب شيئاً تعلق به ، واشتغل به عما سواه ، والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته ، لكن لابد لهذا الحب من علامات أهمها : الفرح بلقاء القرآن ، والجلوس معه أوقاتاً طويلة دون ملل ، والشـوق إليه مهما طال العهد ، وحالت الموانع [١].

ومن تأمل سـير أصـحاب النبي خاصـة أهل التدبر منهم وجد منهم الإقبال الشـديد على القرآن ، فهذا عمر بن الخطاب رضـي الله عنه كان إذا دخل البيت نشر المصحف فقرأ فيه [٢].

فإذا عُلم ذلك فعلى متلقي القرآن أن يسـعى جاهداً لربط جوارحه بهدايات القرآن وتوجيهاته ، وحكمه وأحكامه ، إذ به تظهر ثمرة التدبر عملياً [٣].

وقال السـعدي في بيان أهمية الإقبال على القرآن : من أقبل عليه وتفكر في معانيه وتدبرها بحسن فهم وحسن قصد ، وسلم من الهوى ، فإنه يهتدي به إلى كل مطلوب ، وينال به كل غاية جليلة ومرغوب[٤].

---

[١] مفاتيح تدبر القرآن ، خالد بن عبدالكريم اللاحم ، ط (الرياض ، سـفير ، الثانية ١٤٢٨هـ) ، ص٢٧.

[٢] فضـائل القرآن ، أبو عبيد القاسـم بن سـلام بن عبدالله الهروي ، تحقيق مروان عطية وآخرون ، ط (دمشق ، دار ابن كثير ، الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) ، ص ١٠٥.

[٣] مدارج السالكين ،ابن القيم ، ج ٣ ، ص ٢٥٩.

[٤] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٠.

رابعاً : معرفة أساليب القرآن ولو إجمالاً ،ومعرفة اللغة العربية .

من المهم أن يقف المتدبر على شيء من قواعد النظم القرآني، وأساليبه في التعبير عن مختلف القضـايا ، فتندفع عن القارئ الدهشـة التي قد تعتريه أثناء التلاوة ، كالوقوف على أسـرار التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والإطناب والإيجاز ونحو ذلك مما يعين على التدبر.

قال الشـيخ السـعدي: علوم العربية الموصـلة إلى تبيين كلامه وكلام رسـولـه أموراً مطلوبـة محبوبـة لله ، لأنـه لا يتم معرفـة مـا أنزل على رسـوله إلا بها ، إلا إذا كان الناس بحالة لا يحتاجون إليها ، وذلك إذا تمرنوا على العربية ، ونشأ عليها صـغيرهم وصـارت طبيعة لهم فحينئذٍ قد اكتفوا المؤنة ، وصلحوا لأن يتلقوا عن الله وعن رسوله ابتداءً ، كما تلقى عنهم الصحابة رضي الله عنهم [1].

ونحن لا نطالب المتدبر بهذه الخصـائص الأسـلوبية للقرآن، والوقوف عليها وقوف المتخصـصـين، إنما نطلب منه أن يعلم ما يحتاجه من هذه العلوم ، ويطلع على الضـروري منها للتعامل مع القرآن ، ويأخذ مجمل الموضوع بإيجاز يحقق الغاية ، ويمكنه أن يكتفي بدراسة كتاب واحد من علوم القرآن، التي عرضـت هذه الموضـوعات بإيجاز مجمل مفيد [2].

---

[1] المرجع السابق ، ص ٤٢١.

[2] مفاتيح التعامل مع القرآن ، صلاح عبدالفتاح الخالدي ، ط (دمشق ، دار القلم ،الثانية ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) ، ص ١٤٢.

وقد بين الشـيخ السـعدي بعض هذه الأسـاليب ومثل لها ، لأن الجهل بها يؤثر في الفهم والتدبر ، بل خصـــص لذلك قواعد كاملة في كتابه القواعد الحسان لبيان ذلك [١].

خامساً : الوقوف على معاني الآيات ومعرفة السيرة النبوية .

لابد من معرفة معاني الآيات قبل البدء في التلاوة ، وأن ينتقي القارئ تفسيراً مختصراً مفيداً خالياً من الإسرائيليات والحشو والاستطرادات وما شـاكل ذلك ، ومن الأفضـل أن يصـطحب المتدبر مصـحفاً مطبوعاً على هامشه التفسير ، لسرعة وسهولة الوصول إلى معنى ما يعنّ له أثناء التلاوة .

ومن فوائد دراسة السيرة النبوية أنها تساعد على فهم كتاب الله تعالى ، فقد نزل القرآن منجماً ، تعقيباً على الأحداث ، أو تبييناً لإشـــكال ، أو رداً على استفسار ، أو تحليلاً لموقف من مواقف السيرة .

وقد بين الشيخ السعدي أثر معرفة السيرة في فهم القرآن الكريم فقال :

فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله ، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه[٢].

وقال أيضاً : ومن فوائد معرفة الرسول ، معرفة الآيات القرآنية المنزلة عليه ، وفهم المعنى والمراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسـول ، وسيرته مع أصحابه وقومه ، فإن الأزمنة والأمكنة والأشخاص تختلف

---

[١] انظر : القواعد الحسان ، السعدي ، ص ٢٠، ص ٢٢ ، ص ٢٥ ، ص ٢٧ .

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٠.

اختلافاً كثيراً ،فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه ذلك ، لحصل الغلط على الله ورسوله ، وعلى مراد الله من كلامه ، شيء كثير [١].

القسم الثاني : الوسائل المعينة على التدبر أثناء القراءة .

يطلب من المتدبر أثناء التلاوة أموراً لتعينه وتيسر له عملية التدبر ، من هذه الأمور :

أولاً : الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .

من أهم الوسائل المعينة على التدبر الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ النحل: ٩٨ حيث إن فيها الالتجاء والاستعانة والاستجارة بجنابه الكريم من الشيطان الرجيم[٢]، وإن من أجلّ الأمور التي يلقي الشيطان وسوسته فيها قراءة القرآن، لهذا السبب احتاج العبد إلى من يصونه ، فلهذه الحكمة اختصت قراءة القرآن بالاستعاذة [٣].

---

[١] المرجع السابق ، ص ٣٦.

[٢] تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، تحقيق محمد حسين ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٩هـ) ، ج ١ ، ٢٩.

[٣] مفاتيح الغيب ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، الملقب بفخر الدين الرازي ، ط (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الثالثة ١٤٢٠هـ) ، ج ١ ، ص ٩٢.

قال ابن كثير [١] : ومن لطائف الاســـتعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث ، وتطيب له وتهيؤ لتلاوة كلام الله ، وهي اســـتعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز [٢].

ثانياً :الترتيل و التمهل أثناء التلاوة .

الترتيل هو : القراءة بتؤدة واطمئنان مع تدبر المعاني ومراعاة أحكام التجويد [٣] .

من الوسائل المهمة في التدبر أن يكون القارئ مترسلاً، يقرأ بطمأنينة، لا يجعل همه آخر السورة، والتعجل في التلاوة مخالف للمنهج القويم.

فالله تعالى يقول ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ المزمل: ٤أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره [٤].

---

[١] هو : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء ، الدمشقي الشافعي ، أقبل على حفظ المتون ، ومعرفة الأسانيد ، والعلل والرجال والتاريخ ، حتى برع في ذلك وهو شـــاب ، من مصـــنفاته : البداية والنهاية ، وتهذيب الكمال ، وغيرها ، كان قليل النسـيان ، جيد الفهم ، صـحيح الذهن . انظر : طبقات المفسـرين ، محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٩هـ) ، ج ٧ ، ص ٦٤.

[٢] تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ١ ، ص ٢٩.

[٣] هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، عبدالفتاح الســـيد المرصـــفي المصـــري ، ط (المدينة المنورة ، مكتبة طيبة ، الثانية) ، ج ١ ، ص ٥٠.

[٤] تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٨ ، ص ٢٦١.

وقد بين الشـــيخ الســـعدي عند هذه الآية أن الترتيل من أعظم الأمور المعينة على التدبر فقال : فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به ، والتعبد بآياته ، والتهيؤ والاستعداد التام له [١].

وهذه كانت عامة قراءة النبي صـــلى الله عليه وســـلم ، كما نص عليه اكثر أئمة السلف .

قال الحافظ ابن حجر [٢] : ومن المعلوم من عادته صـــــلى الله عليه وسلم ترتيل القراءة وتعديل الأركان [٣].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٨٩٢.

[٢] هو : أحمد بن علي بن محمد أبو الفضـل الكناني العسـقلاني ، المصـري ،الشـافعي ، يعرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه ، طلب الحديث فســـمع الكثير ولازم الشـــيخ العراقي، وبرع في الحديث وتقدم في جميع فنونه ، من مصنفاته : شرح البخاري ، تهذيب التهذيب ، الإصـابة في تمييز الصـحابة ، وغيرها ، توفي سـنة ٨٥٢هـ . انظر : طبقات الحفاظ ، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين الســـيوطي ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤٠٣هـ) ، ص ٥٥٢.

[٣] فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، ط (بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ)، كتاب مواقيت الصـلاة ، باب وقت العصـر ، ج ٢ ، ص ٢٧.

وبين الإمام النووي [١] أن العلماء نصوا على أن الترتيل من الوسائل المعينة على التدبر فقال : قال العلماء والترتيل مستحب للتدبر وغيره لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام ، وأشد تأثيراً في القلب [٢].

وهنا وقفة مع المدرسين والمحفظين لكتاب الله فالأولى أن يعودوا طلابهم على الترتيل وعدم الاستعجال ، وأن يشجعوا طلابهم على تنمية ملكة الترتيل وتحسين أدائها .

ثالثاً : الخشوع وتحسين الصوت من غير تكلف .

ومقصود التدبر الأعظم : خشوع القلب وذلته وسكونه لله تعالى ، وطريق تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمل مافيه من التهديد ، والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في ذلك فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك فإنه من أعظم المصائب [٣].

---

[١] هو : الإمام الحافظ القدوة ، شيخ الإسلام ، محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي ، كان زاهداً متفنناً في أصناف العلوم فقهاً ، ومتون أحاديث ، وأسماء رجال ، وغير ذلك ، لازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم والعبادة والصيام والذكر ، من تصانيفه: شرح صحيح مسلم ، رياض الصالحين ، الأذكار ، وغيرها ، توفي سنة ٦٧٦هـ . انظر : تذكرة الحفاظ ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) ، ج ٤ ، ص ١٧٤. وطبقات الشافعية ، السبكي ،ج ٨ ، ص ٣٩٥.

[٢] التبيان في آداب حملة القرآن ، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي ، تحقيق محمد الحجار ، ط (بيروت ، دار ابن حزم ، الثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) ، ص ٩١.

[٣] التبيان في آداب حملة القرآن ، النووي ، ص ٨٨ .

فعلى المتدبر أن يشـــغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به ويتأمل الأوامر والنواهي ، ويعتقد قبول ذلك ، فإن كان مما قصـــر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر ، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل ، أو عذاب أشـــفق وتعوّذ ، أو تنزيه نزّه وعظّم ، أو دعاء تضـــرع وطلب ، فبهذا يخشع القلب وتتأثر الجوارح [١].

وفائدة تحســـين الصـــوت بالقرآن أنه أوقع في النفوس ، وأدعى إلى الاســـتماع والإصـــغاء إليه ، فبه تنفذ ألفاظ القرآن إلى الأســـماع ، ومعانيه إلى القلوب ، وذلك عون على المقصود [٢].

ومن الملاحظ أن النفوس تنجذب للقراءة المرتلة الخاشـــعة أكثر من انجذابها للقراءة العادية .

رابعاً : التجاوب والتفاعل مع الآيات .

والمقصود بالتجاوب معايشة الآيات القرآنية واستحضار معانيها ، مع تصور الأثر الذي تحدثه في نفس القارئ والسامعين ، فيسبح تارة ، ويتساءل تارة ، ويستعيذ أخرى ، وإذا مرّ بآية تخاطب الأنبياء علم أنه مخاطب بذلك من باب أولى ، وإذا قرأ ثناء الله على أعمال الأنبياء والصالحين علم أنه مخاطب ، وأن تأثره واقتداءه مطلوب أيضاً ، وإذا

---

[١] الإتقان في علوم القرآن ، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين الســـيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ)، ج ١، ص٣٦٩.

[٢] تدبر القرآن ، السنيدي ، ص ١١٨.

مرّ بذم الله لأعمال العصـــاة والظالمين علم أنه مخاطب ، وأن تأثره مقصود وحذره مطلوب كذلك [١].

ومن ذلك بيان الشـــيخ الســـعدي كيف يكون التفاعل مع الآيات التي تحدثت عن الأمر والنهي فقال :

إن المكلفين مكلفون بمعرفة ما أمروا به ، وما نهوا عنه ، وبالعمل بذلك، وطريق ذلك : إذا مرّ عليه نص فيه أمر بشـئ عرفه ، وفهم ما يدخل فيه ، ومالا يدخل ، وكذلك في النهي ، فمن كان عاملاً على هذه الطريقة فإنه ماشٍ على الصراط المستقيم ، وحصل له بذلك علم عزير وخير كثير [٢].

خامساً: تكرار الآية المؤثرة على القلب .

لا شك أن آيات القرآن كلها مؤثرة ، لكن بعضها أكثر تأثيراً من بعض فعلينا أن نستثمر هذه الفرصة أطول فترة ممكنة من خلال تكرار الآية أو الآيات التي أثرت فينا ، ولا ننتقل عنها إلى غيرها طالما وجد التأثر، فإن هدأت المشـــاعر وخف التأثر انتقلنا إلى الآيات الأخرى ، منتظرين تأثراً جديداً [٣].

---

[١] المرجع السابق ، ص ١٥٤.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٧.

[٣] كيف نحيي قلوبنا في رمضـــان ، مجدي الهلالي ، ط (القاهرة ، مؤســـســـة اقرأ ، ١٤٢٧هـ) ، ص ١٣.

وكان هذا هدي النبي والسلف الصالح ، قال النووي : وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة ، أو معظم ليله ، يتدبرها عند القراءة [١].

إن هذه الصـــور الخاشـــعة تعطي المتدبر دافعاً قوياً للاقتداء بهولاء الأصفياء الأتقياء الذين أدركوا عظم أثر هذا السبب ، فلتكن قراءة من يريد الانتفاع قراءة بتفكر وخشـوع ، حتى إذا مرّ بآية وهو محتاج إليها في شـــفاء قلبه كررها ، ولو مائة مرة ، ولو ليلة ، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم ، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان ، وذوق حلاوة القرآن [٢].

سادساً: تدارس القرآن مع جمع إن أمكن .

تدارس القرآن مع العلماء أو الأصـــحاب أو الأهل يفتح الآفاق ويعين على التدبر ، ويصحح الخطأ ، ويقوّم السلوك والفكر .

ومن أبلغ الدلائل على هذه الفضـيلة قوله صـلى الله عليه وسـلم " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا

---

[١] الأذكار ، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شـرف النووي ، ط (دار ابن حزم ، الأولى ١٤٢٥هـ) ، ص ١٠٧.

[٢] مختصـــر منهاج القاصـــدين ، أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدســـي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط (دار البيان –مؤسسة علم القرآن ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) ، ص ٥٣.

نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده " [1].

سابعاً : تحري أوقات الفراغ الذهني .

اختيار الوقت المناسب للقراءة والذي تكون فيه النفس بعيدة عن ما يشوشها من الأمور المهمة في التدبر ، حيث يتأكد فيها حضور القلب وصفاء الذهن ، لذلك خص الله بعض الأوقات .

وبالمقابل فإن الذي لا يعطي القرآن إلا فضول الأوقات ولحظات الانتظار وأوقات الفراغ فإنه سيحرم نعمة التدبر ، فمراعاة الأحوال المناسبة لقراءة القرآن لابد منها في التدبر .

قال النووي : ينبغي للمرء أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر، وفي صلاة الليل أكثر ، وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب ، وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات[2].

وعلى طالب التدبر معرفة الأوقات التي تعينه على ذلك ، فلا يقرأ في وقت انشغالاته الذهنية أو الدنيوية التي تجعله لا يفهم ما يقرأ .وكذلك يحرص أن يكون المكان بعيداً عن الأمور الصارفة والأشياء الشاغلة ، سواء في

---

[1] صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، ط (بيروت ، دار إحياء التراث العربي) ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، ج ٤ ، ص ٢٠٧٤.

[2] التبيان في آداب حملة القرآن ، النووي ، ص ٦٤.

المسجد، أو مصلاه في منزله ، أو الغرفة المناسبة ، أو في غيرها ، ليكون تدبره أمثل .

القسم الثالث : الوسائل المعينة على التدبر بعد القراءة .

أولاً : شكر المؤمن ربه على ماهداه من التدبر.

شكر المؤمن ربه يزيده تدبراً ، ويجعله يقبل على القرآن بحب ونهم ، فلولا الله ما فتح القرآن المتدبر ، ولا تلا ولا تدبر ، والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فأما شكر القلب فيعني : الاعتراف بالنعم للمنعم ، وأنها منه وبفضله ، والشكر باللسان يعني : الثناء بالنعم وذكرها وتعدادها وإظهارها ، والشكر بالجوارح يعني : أن لا يستعان بالنعم إلا على طاعة الله ، وأن يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه [1].

ثانياً : إبراز ثمرة التدبر في التطبيق .

المقصود الأهم للتدبر أن يترجم ذلك كله إلى واقع عملي ، فنرى للمتدبر خلقاً فاضلاً ، وعملاً صالحاً ، وتأسياً بالنبي ، وإلا تحولت عنه نعمة التدبر .

[1] مجموع رسائل الحافظ ابن رجب ، طلعت الحلواني ، ط (الفاروق الحديثة ، ١٤٢٤هـ) ، ج ١ ، ص ٣٥٠.

قال الحسن [١]: نزل القرآن ليُدبر ويُعمل به ، فاتخذوا تلاوته عملاً ، فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته : من تدبر القرآن ، وإطالة التأمل ، وجمع الفكر على معاني آياته [٢].

ولا يظن القارئ عند تنويع وسائل التدبر وتعددها أنه من الصعوبة بمكان ، أو أن هذه الوسائل تعوق طريق المتدبرين ، ولكنها بمثابة إرشادات على الطريق، ووسائل تضبط عملية التدبر ، حتى لا يقول في القرآن من شاء ما شاء .

[١] هو : الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري ، مولى زيد بن ثابت ، نشأ بوادي القرى ، وحضر الجمعة مع عثمان وسمعه يخطب ، وشهد يوم الدار ، رأي عثمان وطلحة والكبار ، روى عن خلق من الصحابة والتابعين ، كان الحسن جامعاً ، عالماً ، فقيهاً ، ثقة ، حجة ، مأموناً ، عابداً ، كثير العلم ، حلقته كان يمر فيها الحديث والفقه وعلم القرآن واللغة وسائر العلوم ، توفي سنة ١١٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج٤ ، ص ٥٦٤.

[٢] مدارج السالكين ، ابن القيم ، ج ١ ، ص ٤٥٠.

المبحث الثالث : مقاصد التدبر ، وفوائده ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مقاصد التدبر .

المطلب الثاني : فوائد التدبر .

المطلب الأول : مقاصد التدبر .

للتدبر القرآني مقاصد وغايات نذكر منها :

أولاً : التفكر والاعتبار .

إن الواجب على المكلف أن يشـــغل نفســـه بهذه العبادة الجليلة في حدودها ومجالاتها المنضبطة ، ويتعاهدها في جميع الأحوال .

قـال تعـالى﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ النحل: ٤

إنها دعوة لإحياء هذه العبادة الجليلة موجهة لكل مسلم على قدر استطاعته ، في البيت ، والمدرســـة ، والمســـجد ، فلنعود قلوبنا عليها ، فإنها تورث في القلب محبة الخالق ، وإخلاص العبادة له ، وغير ذلك ، لأننا نرى البعض اليوم وقد تبلدت مشاعرهم وتفكيرهم عند سماع الآيات فلا يتحرك فيهم شيء.

فعلى المتدبر أن يشـــغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به ويتأمل الأوامر والنواهي ، ويعتقد قبول ذلك ، فإن كان مما قصـــر عنه فيما مضـــى اعتذر واستغفر ، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل ، أو عذاب أشفق وتعوذ ، أو تنزيه نزّه وعظّم ، أو دعاء تضّرع وطلب [1].

ثانياً : خشوع القلب والجوارح .

إن من أعظم مقاصـــد تدبر القرآن خشـــوع المتدبر تأثراً من مواعظ القرآن الكريم، وخشــوع القلب هو ذلته وســكونه [2]، وقد كان النبي يأخذه الخشــوع

---

[1] الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ج ١ ، ص ٣٦٩.

[2] مدارج السالكين ، ابن القيم ، ج ١ ، ص ٥١٨.

والتـأثر إذا قرأ القرآن الكريم ، مرة تلا قول الله في إبراهيم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٦

وقال عيسـى ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ المائدة: ١١

فرفع يديه وقال : اللهم أمتي أمتي ، وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله بما قال ، فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سـنرضـيك في أمتك ولا نسوؤك [1].

ولتعلم أيها المتدبر أنه إذا كان هذا حال النبي فما بالنا نحن ، فتمسك بسنته، وسر على هديه ، في الخوف والخشية عند سماع القرآن ، وكذلك من المفيد الاطلاع على سير السلف الصالح المليئة بالمواقف التدبرية الخاشعة للاقتداء بهم والسير على مناهجهم ومن صور ذلك :

أبو بكر الصـــديق ، حدثت ابنته عائشـــة قالت : ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين

[1] صـحيح مسـلم ، مسـلم بن الحجاج ، ج ١ ، ص ١٩١ ، كتاب الإيمان ، باب دعاء النبي لأمته وبكائه وشفقته عليهم .

وأبنائهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً ، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين [١].

ثالثاً : امتثال الأوامر واجتناب النواهي .

من أبرز مقاصد التدبر وغاياته امتثال المتدبر للأوامر التي جاءت في كتاب الله ، واجتناب النواهي التي نهى عنها.

قال القرطبي [٢]: فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواهيه ، ويتذكر ما شُرح له فيه ، ويخشى الله ويتقيه ، ويراقبه ويستحيه ، ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع ، وزجرته نواهيه فلم يرتدع ، وارتكب من المآثم قبيحاً ، ومن الجرائم فضوحاً ، كان القرآن حجة عليه ، وخصماً لديه [٣].

والواجب على كل قارئ لكتاب الله معرفة ما يريده الله منه في هذا الكتاب ، ويتدبر ما فيه من الأخبار والأوامر والنواهي ، فمعرفة هذه الأمور تعين على الفوز والفلاح .

---

[١] صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط (دار طوق النجاة ، الأولى ١٤٢٢هـ) ، ج ١ ، ص ١٠٢ ، كتاب الصلاة ، باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر.

[٢] هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري المالكي ، أبو عبدالله القرطبي ، صاحب التفسير الذي سارت به الركبان ، إمام متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور فضله ، من مصنفاته : شرح أسماء الله الحسنى ، وشرح التقصي وغيرها ، انظر: طبقات المفسرين ، الداوودي ، ج ٢ ، ص ٦٩.

[٣] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ١ ، ص ٢.

رابعاً : استخراج العبر ،واستنباط الأحكام .

يقول ابن كثير : فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك ، وطلبه من مظانه ، وتعلم ذلك وتعليمه ، وأن نأتمر بما أمرنا الله من تعلم كتاب الله المنزل إلينا ، وتعليمه وتفهمه وتفهيمه [١].

ومن شروط الاستنباط واستخراج الحكم [٢] :

١- سلامة المقصد عند بيان الأحكام .

٢- معرفة مواطن الاستنباط والنظر .

٣- إتقان العلوم المؤهلة للاستنباط .

٤- الاعتماد على الحجة .

٥- مراعاة مقاصد الشريعة وغاية القرآن .

يقول ابن القيم [٣]: وأنت إذا تأملت الآية حقها ، ودلالة اللفظ ، وإماءته وإشارته وتنبيهه ، وقياس الشئ على نظيره ، واعتباره بمشاكله ، وتأملت

---

[١] تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ١ ، ص ٨ .

[٢] تدبر القرآن ، السنيدي ، ص ٨٢.

[٣] هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ، شمس الدين ابن قيم الجوزية ، كان واسع العلم عارفاً بالخلاف ومذهب السلف ، ملازماً للاشتغال ليلاً ونهاراً ، حسن الخلق ، كثير التودد ، من مصنفاته : أعلام الموقعين ، بدائع الفوائد وغيرها ، توفي سنة ٧٥١هـ ، انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عبدالمعين خان ، ط (مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الثانية ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م) ، ج ٥ ، ١٣٧.

المشـــابهة التي عقدها الله وربطها بين الظاهر والباطن ، فهمت هذه المعاني كلها ، وبالله التوفيق [١].

المطلب الثاني : فوائد التدبر .

إن من يلهمه الله التدبر يتحصـــل على خيرات كثيرة ، وفوائد عظيمة ، من أهمها :

أولاً : زيادة الإيمان ورسوخه.

وصـــف الله تعالى قوماً من شـــأنهم أنهم إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ الأنفال: ٢

فهذه الآية بينت أثر التدبر على أولئك المؤمنين ، الذين جمعوا بين العلم والعمل ،وقد قدم الله تعالى أعمال القلوب هنا ، لأنها أصـــل لأعمال الجوارح وأفضـــل منها ، وأنه ينبغي للعبد المتدبر أن يتعاهد إيمانه وينميه ، وأن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى والتأمل لمعانيه [٢].

ووجه ذلك أنهم يلقون له الســـمع ويحضـــرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم ، لأن التدبر من أعمال القلوب ، ولأنه لابد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه ، أو يتذكرون ما كانوا نســوه ، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير

---

[١] التبيان في أقسام القرآن ، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط (بيروت ، دار المعرفة) ، ص٢٣١.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣١٥.

، واشتياقاً إلى كرامة ربهم ، أو وجلاً من العقوبات ، وازدجاراً عن المعاصي ، وكل هذا مما يزاد به الإيمان [١].

ثانياً : تحصيل الهداية والرحمة والبركة .

من عظيم الثمار التي يجنيها المتدبر تحصيل الهداية والرحمة والبركة ، وأي شيء يرجوه المسلم .

فأما الهداية ففي قوله ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ طه: ١٢٣

قال ابن عباس [٢]: من قرأ القرآن واتبع مافيه هداه الله من الضلالة ، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب ، فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة [٣].

وأما الرحمة فمثل قوله ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٤

---

[١] المرجع السابق ، ص ٣١٥.

[٢] هو : عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم النبي ، كان يسمى البحر لسعة علمه ، وحبر الأمة ، كان أعلم الناس بحديث النبي وبقضاء أبي بكر وعمر وعثمان ، وكان عالماً بالشعر والعربية والتفسير ، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ . انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبو الحسن علي بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني عز الدين ابن الأثير ، تحقيق علي معوض – عادل عبدالموجود ، ط (بيروت، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) ، ج ٣ ، ص ٢٩١.

[٣] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ١١، ص ٢٥٨.

دلالة على الطريقة الموصـــلة لنيل الرحمة بالقرآن ، والحصـــانة من نزغ الشيطان، وهي الاستماع له إذا قرئ ، والإنصات مدة القراءة ، فمن استمع وأنصت كان جديراً بأن يفهم ويتدبر ، وهو الذي يرجى أن يرحم [1].

وأمـا البركـة فمثـل قولـه ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٥٠

ووصف القرآن بالبركة يقتضي كثرة خيراته ونمائها وزيادتها ، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن ، فإن كل خير ونعمة ، وزيادة دينية أو دنيوية أو أخروية ، فإنها بســببه وأثر عن العمل به ، فإذا كان ذكراً مباركاً وجب تلقيه بالقبول والانقياد والتسليم ، واستخراج بركته بتعلم ألفاظه وتدبر معانيه [2].

ثالثاً : الوقوف على معرفة الله والحلال والحرام .

وقوف المتدبر على الحلال والحرام أمر لا شك فيه ، وذلك لأن القرآن كتاب الله ودستوره إلى خلقـــــه ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩

---

[1] تفسير القرآن الحكيم (المنار) ،محمد رشيد بن علي رضا، ط (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م) ، ج ٩ ، ص ٤٦١.

[2] تيسير الكريم الرحمن ،السعدي ، ص ٥٢٥.

قال ابن مسعود [١]: قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء ، وقال مجاهد [٢]: كل حلال وحرام ، وقول ابن مسعود أعم وأشمل ، فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق ، وعلم ما سيأتي ، وحكم كل حلال وحرام ، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ومعاشهم [٣].

رابعاً : حصول العلم والمعارف .

إن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف ، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم [٤].

وأخيراً : فوائد وثمار التدبر كثيرة جداً وما ذكرنا لم يكن حصراً لها ولا يمكن لأحد إحصائها ، ولكن جماعها أن يقود التدبر صاحبه إلى مرضاة الله ، وأن ينجيه من الهلكة بعذاب الله ، ولا يتحصل ذلك إلا بمعرفة مراد الله في كتابه، ثم السير على منهاجه .

---

[١] هو : عبدالله بن مسعود بن غافل بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ، كان إسلامه قديماً أول الإسلام ، كان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك ، هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة ، وصلى القبلتين ، وشهد بدراً وأحد والمشاهد كلها مع رسول الله ، وشهد اليرموك بعد وفاة النبي ، وهو الذي أجهز على أبي جهل ، شهد له النبي بالجنة ، توفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ ، ودفن بالبقيع وصلى عليه عثمان . انظر : أسد الغابة ، ابن الأثير ، ج ٣ ، ص ٣٨١.

[٢] هو : مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود ، الإمام ، شيخ القراء والمفسرين ، مولى السائب بن أبي السائب ، روى عن ابن عباس فأكثر ، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه ، كان أعلم تلامذته بالتفسير ، توفي سنة ١٠٣هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج٤ ، ص ٤٥٠.

[٣] تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٥١٠.

[٤] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١٨٩.

المبحث الرابع: الأساليب المنهجية في تدبر القرآن مع التطبيق من كتب الشيخ السعدي، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الأســـاليب المنهجية في التدبر من خلال التطبيقات الموضوعية .

المطلب الثاني : الأســـاليب المنهجية في التدبر من خلال الدلالات الأصولية .

المطلب الثالث : الأســـاليب المنهجية في التدبر من خلال اللغة والبلاغة .

المطلب الرابع : خصـائص الأســاليب المنهجية في التدبر عند الشيخ السعدي .

المطلب الأول : الأساليب المنهجية في التطبيقات الموضوعية .

أولاً : مقاصد سور القرآن .

يقصد منه الوقوف على المعاني والأغراض الأساسية والموضوعات الرئيسية التي تدور عليها سورة معينة ومضمونها[١].

قال البقاعي [٢]: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب [٣].

وقد كان الشيخ السعدي له التفات إلى المقاصد المتعلقة بسور القرآن ، من ذلك :

قال في بيان مقصد سورة الأنعام :

---

[١] علم مقاصد السور ، محمد بن عبدالله الربيعة ، ط (رسالة ماجستير ، جامعة القصيم، الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠١١م) ، ص ٧.

[٢] هو : أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر حسن الرباط البقاعي ، محدث ومفسر ومؤرخ وأديب ، برع في جميع العلوم والفنون ، من أوعية العلم الجامعين بين المعقول والمنقول ، من مصنفاته : عنوان الزمان في تراجم الشيوخ ، وأخبار الجلاد في فتح البلاد، توفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ .انظر : الأعلام ، الزركلي ، ج ١ ، ص ٥٦. والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ، ط (بيروت ، دار المعرفة) ، ج ١ ، ص ١٩.

[٣] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، براهيم بن عمر بن حسن الرباط بن أبي بكر البقاعي ، ط (القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي) ، ج ١ ، ص ١٨.

اعلم أن هذه السـورة الكريمة قد اشـتملت على تقرير التوحيد بكل دليل عقلي ونقلي ، بل كادت أن تكون كلها في شـأن التوحيد ومجادلة المشـركين بالله المكذبين لرسوله [١].

وقال في بيان مقصد سورة النحل :

هذه السورة تسمى سورة النعم ، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها[٢].

ثانياً : مقاصد الآيات .

لا يفهم النصـوص القرآنية ولا المعاني الربانية حق الفهم إلا من واجه مثل الظروف التي واجهتها أول مرة ، واسـتشـعر حقيقتها ونزولها وبلاغتها ، هنا تنفتح النصـوص لإدراك مضـامينها الكاملة ، وهنا تتحول تلك النصـوص من كلمات وسـطور إلى امتثال وعمل ، تعمل في واقع الحياة ، وتدفع بها إلى حركة حقيقية في عالم الواقع ، وإن الإنسان ليقرأ النص القرآني مئات المرات ثم يقف الموقف أو يواجه الحادث ، فإذا النص القرآني جديد يجيب عن السؤال الحائر ، ويرسم الاتجاه القاصد ، ويفئ بالقلب إلى الاطمئنان العميق، وليس ذلك لغير القرآن في قديم ولا حديث [٣].

قال الشيخ السعدي في بيان أهمية النظر للمقاصد خاصة في الآيات :

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٢٥١.

[٢] المرجع السابق ، ص ٤٣٥.

[٣] تدبر القرآن ، السنيدي ، ص ٩٩.

فتدبر الألفاظ العامة والخاصة، والتأمل في سياق الكلام ، والاهتمام بمعرفة مراد الله بكلامه، وتنزيله على الأمور كلها هو الأمر الأهم، وهو المقصود، وهو الذي يحصل به العلم والإيمان [1].

ومن الأمثلة على ذلك :

قال في بيان مقصد قوله ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ الأعراف: ١٩٩

هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس ، وما ينبغي في معاملتهم ، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس ، أن يأخذ العفو أي ما سمحت به أنفسهم ، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق ، فلا يكلفهم مالا تسمح به طبائعهم ، بل يشكر من كل أحد ما قابله به ، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك ، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم ، ولا يتكبر على الصغير لصغره ، ولا ناقص العقل لنقصه ، ولا الفقير لفقره ، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم [2].فالشيخ هنا ذكر ما ينبغي أن يتعامل به الناس فيما بينهم من الأخلاق الفاضلة التي حث عليها الإسلام والتي تزيد من الترابط الاجتماعي .

وعند قوله ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ النحل:٩٠

---

[1] المواهب الربانية ، السعدي ، ص ٤٧.

[2] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣١٣.

قال الشيخ : هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها ، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات ، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به ، وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى عنه ، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال [١] .فالشيخ هنا جعل الشريعة كلها أمر ونهي ، والتقوى منحصرة في الامتثال والاجتناب ،والأمثلة على ذلك كثيرة في تفسير الشيخ [٢].

ثالثاً : أسلوب العموم .

بين الشيخ السعدي أهمية اعتبار العموم في فهم القرآن وتدبره ، وقد أفرد في كتابه (القواعد الحسان) قاعدة (العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب)، وبين أن هذه القاعدة محل اتفاق المحققين فقال :

وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم ، فمتى راعيت القاعدة حق الرعاية وعرفت أن ما قاله المفسرون من أسباب النزول إنما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورة عليها ، وإنما نزل القرآن لهداية أول الأمة وآخرها ، والله تعالى قد أمرنا بالتفكر والتدبر لكتابه [٣].

وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى : إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين ، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم ، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم ، وتندرج

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٤٤٧.

[٢] انظر : المرجع السابق ، ص ١٣٨ ، ص ١٦٢ ، ص ٩١٥.

[٣] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ١١.

فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها ، ولييندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين [١].

والشيخ لم يكثر من التصريح بذكر أسباب النزول ، وذلك لأنه كان يركز على بيان المعنى الإجمالي للآيات ، وتارة كان يصرح بذكر السبب ثم يذكر شمول لفظ الآية لما شابهها من الحوادث ، وتارة لا يصرح بل يعمم المعنى مباشرة على معنى الآية .

ومن ذلك عند قوله ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ ﴾ الأنفال: ٦٠

قال الشيخ : كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق ، وآلات الدفاع ، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي والشجاعة والتدبير [٢].فهذا النص بين فيه الشيخ أنها تعم كل مصادر القوة من الأسلحة الحديثة وكل ما يقتدر به المسلمون على غيرهم .

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٧٣٦.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٢٤.

وعند قوله ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٨

قال الشيخ : ويدخل في هذه الآية الكريمة أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم ولم ينقادوا للرســـول وزعموا أنهم هم المحقون في حالهم ومقالهم ، وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية وفرح بها ودعى إليها ، وزعم أنه محق وغيره مبطل كما هو الواقع من أهل البدع [١] .

فهذه الآية نزلت في اليهود الذين دعاهم النبي ليسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، ثم فرحوا بفعلهم هذا واستحمدوه [٢] ، لكن الشيخ لم يذكر هذا السبب بل ذكر أن هذه الآية تعم أهل الكتاب وغيرهم ممن شابههم في زعمهم الباطل ، والأمثلة في تفسيره كثيرة [٣].

رابعاً : أسلوب علم المناسبات .

تعريفها : علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال [٤].

---

[١] المرجع السابق ، ص ١٦٠.

[٢] صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب (لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا) ، ج ٦ ، ص ٤٠.

[٣] انظر : تيسير الكريم الرحمن ، السعدي، ص ٤٩٩ ، ص ٨٤٨ ، ص ٨٩٦.

[٤] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، ج ١ ، ص ٥.

كان للشيخ السعدي عناية ظاهرة بتأمل المناسبات ، والتدبر في أسرارها ، خاصةً ما يتعلق بتدبر المناسبات بين الآيات ، أو بين الآية وخاتمتها ، أو بين جمل الآية الواحدة ، وقليل جداً ذكره للمناسبات بين السور.

ومن أمثلة المناسبة بين جمل الآية الواحدة :

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ ﴾ هود: ٨٨

قال الشيخ : " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت " أي ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم ، وتستقيم منافعكم ، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي ، ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس ، دفع هذا بقوله " وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب" أي : وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير ، والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى ، لا بحولي ولا بقوتي [1].

ومن أمثلة المناسبة بين الآيتين :

عند قوله تعالى﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ ﴾ النجم: ١ - ٢

حيث قال: وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول من الوحي الإلهي، لأن في ذلك مناسبة عجيبة ، فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء ،

[1] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٨٧.

فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض ، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم [١] .

وعند قوله ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ هود: ١١٦

قال الشيخ : لما ذكر تعالى إهلاك الأمم المكذبة للرسل وأن أكثرهم منحرفون حتى أهل الكتب الإلهية ، وذلك يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال ، ذكر أنه لولا جعل في القرون الماضية بقايا من أهل الخير يدعون إلى الهدى ، وينهون عن الفساد والردى ، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان ،ولكنهم قليلون جداً [٢].

وأما المناسبة بين الآية وخاتمتها من الأسماء الحسنى :

فقد أفرد لها الشيخ قاعدة في كتابه (القواعد الحسان) فقال (الأسماء الحسنى في ختم الآيات) ، وقد نبه على أهميتها بأنها قاعدة لطيفة نافعة ، عليك بتتبعها في جميع الآيات المختومة بها تجدها في غاية المناسبة ، وتدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته ومرتبط بها [٣].

---

[١] المرجع السابق ، ص ٨١٨.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٩١.

[٣] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ٥٣.

ومن أمثلة ذلك عند قوله ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ البقرة: ١٧٣

قال الشيخ : فيجب إذاً الأكل ويأثم إن ترك الأكل حتى مات ، فيكون قاتلاً لنفسه ، وهذه الإباحة والتوسعة من رحمته تعالى بعباده ، فلهذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة فقال" إن الله غفور رحيم " ، ولما كان الحل مشروطاً بهذين الشرطين وكان الإنسان في هذه الحالة ربما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها ، أخبر تعالى أنه غفور فيغفر له ما أخطأ فيه في هذه الحال ، خصوصاً وقد غلبته الضرورة وأذهبت حواسه المشقة[1].

وقد ربط الشيخ بين معنى هذه الآية وبين الاسمين المذكورين بأن الله تعالى لما عفا عنهم في أكل المحرم فإن هذا من رحمة الله بهم ، ويدل على ذلك اسم الرحيم ، ولما كانوا في هذه الحالة قد تعدوا حدود المباح فإن الله غفر لهم ذلك ، وهذا يدل عليه اسم الغفور

وعند قوله ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ المجادلة: ١

قال الشيخ : نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار اشتكى زوجته إلى الله وجادلته إلى رسول الله لما حرمها على نفسه بعد الصحبة الطويلة والأولاد...، " إن الله سميع " لجميع الأصوات في جميع الأوقات على تفنن الحاجات ،

[1] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٨١.

"بصير" يبصر دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره وإحاطتهما بالأمور الدقيقة والجليلة ، وفي ضمن ذلك الإشارة بأن الله تعالى سيزيل شكواها ويرفع بلواها [١].

لما فسر الشيخ هذه الآية ذكر المناسبة بين ختم الآية بهذين الاسمين وبين موضوعها ، وذلك أن هذه المرأة المجادلة اشتكت إليه همها ، فهو تعالى بكمال سمعه وكمال بصره سمع مجادلتها ورآها فتكفل برفع بلواها ، والأمثلة على ذلك كثيرة في تفسيره [٢].

ومن أمثلة الربط بين السور :

ما ذكره في تفسير سورة المدثر حيث قال : تقدم أن المزمل والمدثر بمعنى واحد ، وأن الله أمر رسوله بالاجتهاد في عبادة الله ، القاصرة والمتعدية ، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة والقاصرة والصبر على أذى قومه ، وأمره هنا بإعلان الدعوة والصدع بالإنذار [٣].

وقال في تفسير سورة قريش وهي بعد سورة الفيل : قال كثير من المفسرين أن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها أي فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم واستقامة مصالحهم ، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن ، وفي الصيف للشام [٤].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٨٤٣.

[٢] انظر : المرجع السابق ، ص ٨٥ ، ص ١٠١ ، ص ٥٤٢ .

[٣] المرجع السابق ، ص ٨٩٥.

[٤] المرجع السابق ، ص ٩٣٥.

خامساً : أسلوب النظر في السنن الربانية .

والمقصود بالسنن : النظام الإلهي الذي يحكم سلوك البشر في انضباط واطراد .

وكلمة ربانية :يقصد بها المنسوبة إلى الرب سبحانه وتعالى ، فإن الله يربي عباده بهذه السنن والنواميس الصارمة [1].

والشيخ في تفسيره كثيراً ما يشير إلى النظر في السنن الربانية ، ومن الأمثلة على ذلك :

عند قوله تعالى﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩٥ ﴾ الأعراف: ٩٤ ـ ٩٥

قال الشيخ : أي هذه عادة جارية لم تزل موجودة في الأولين واللاحقين ، تارة يكونون في سراء وتارة في ضراء ، وتارة في فرح وتارة في ترح ، على حسب تقلبات الزمان وتداول الأيام ، وحسبوا أنها ليست للموعظة والتذكير ، ولا للاستدراج والنكير حتى إذا اغتبطوا ، وفرحوا بما أوتوا ، وكانت الدنيا ما كانت إليهم ، أخذناهم بالعذاب .

---

[1] مفهوم السنن الربانية في ضوء القرآن الكريم ، رمضان خميس زكي ، ط (القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م) ، ص ٥.

" بغتةً وهم لا يشـــعرون " أي لا يخطر لهم الهلاك على بال ، وظنوا أنهم قادرون على ما آتاهم الله ، وأنهم غير زائلين ولا منتقلين عنه [1].فالشـيخ هنا ذكر سنة من سنن الله الكونية الجارية في الخلق إلى قيام الساعة وهي تقلبهم في السراء والضـراء للتذكير ، ولكنهم ينغمسـون في النعم فيأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون.

وعند قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢ ﴾ آل عمران: ١٠ - ١٢

قال الشـــيخ : وهذه الحال التي ذكر الله تعالى أنها لا تغني الأموال والأولاد عن الكفار شـيئاً ، سـنته الجارية في الأمم السـابقة ، كما جرى لفرعون ومن قبله ومن بعده ، كذبوا بآيات الله وجحدوا ما جاءت به الرسـل وعاندوا ، والله شـــديد العقاب على من أتى بأســـباب العقاب ، وهو الكفر والذنوب على اختلاف أنواعها وتعدد مراتبها [2] .

فالشـــيخ هنا أشـــار أن من ســـنته عقاب الجاحدين والمذنبين على اختلاف مراتبهم وفق علمه وإرادته وهذه ســـنته في خلقه لا يغني عن عقابه شـــيء ، والأمثلة كثيرة في تفسيره [3].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٢٩٧.

[2] المرجع السابق ، ص ١٢٣.

[3] انظر : المرجع السابق ، ص ٧٥ ، ص ٦٧١ ، ص ٧٠٥.

سادساً : أسلوب الاعتبار.

بين الشـــيخ مفهوم الاعتبار فقال : حقيقته العبور من شـــيء إلى شـــيء ، وقياس الشـــئ على نظيره ، وقد حث تعالى على الاعتبار في غير موضـــع من كتابه [١].

ومن ذلك عند قوله ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ الكهف: ٦

قال الشـــيخ : وفي هذه الآية ونحوها عبرة ، فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعي بكل سبيل يوصل إلى الهداية ، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه ، مع التوكل على الله في ذلك ، فإن اهتدوا فبها ونعمت ، وإلا فلا يحزن ولا يأسف ، فإن ذلك مضعف للنفس ، هادم للقوى ، ليس فيه فائدة ، بل يمضـــي على فعله الذي كلف به وتوجه إليه ، وماعدا ذلك فهو خارج عن قدرته [٢].فالشـــيخ هنا أقر بمنهج دعوي للمأمور بالدعوة في أنه ما عليه إلا البلاغ وأن يبذل في ســـبيل ذلك كل طريق ، وليس عليه الهداية .

وعند قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٥٧

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٥.

[٢] المرجع السابق ، ص ٤٧٠.

قال الشيخ : وفي هذا الحث على التذكر والتفكر في آلاء الله والنظر إليها بعين الاعتبار والاستدلال ، لا بعين الغفلة والإهمال [١] ، فالآية تحدثت عن مظهر من مظاهر قدرة الله وهو سوق السحاب وإنزال المطر ثم إحياء الأرض بالنبات ، والشيخ حث هنا على الاعتبار والتفكر بالنظر في ملكوت الله للاستدلال على قدرته وعظمته وأن مردّنا إليه يوم البعث والحساب ، والأمثلة في تفسيره كثيرة [٢].

سابعاً :أسلوب مقاصد أمثلة القرآنية .

بين الشيخ السعدي أن القرآن اشتمل على أعلى أساليب التعليم ومنها ضرب الأمثال فقال :

اعلم أن القرآن الكريم احتوى على أعلى وأكمل وأنفع المواضيع التي يحتاج الخلق إليها في جميع الأنواع ، فقد احتوى على أحسن طرق التعليم ، وإيصال المعاني إلى القلوب بأيسر شيء وأوضحه ، فمن أنواع تعاليمه العالية : ضرب الأمثال [٣].

ومن ذلك عند قوله ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾ العنكبوت: ٤١

قال الشيخ : هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره ، يقصد به التعزز والتقوي والنفع ، وأن الأمر بخلاف مقصوده ، فإن مثله كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً

---

[١] المرجع السابق ، ص ٢٩٢.

[٢] انظر : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ، ص ٤٧٠ ، ص ٤٦٧.

[٣] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ٦٤.

يقيها من الحر والبرد والآفات ، وإن أضعف البيوت وأوهاها بيت العنكبوت ، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء ، فقراء عاجزون من جميع الوجوه ، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصروهم ، ازدادوا ضعفاً إلى ضعفهم ، ووهناً إلى وهنهم ، فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم حالهم وحال من اتخذوهم ، لم يتخذوهم ولتبرأوا منهم ، ولتولّوا الرب القادر الرحيم ، الذي إذا تولاه عبده وتوكل عليه ، كفاه مؤنة دينه ودنياه ، وازداد قوة إلى قوته ، في قلبه وفي بدنه وحاله [1]، فالشيخ هنا تحدث عن مثل الذي اتخذ مع الله إلهاً بأن اتخاذ هذا في ضعفه كالعنكبوت اتخذت بيتاً ، ولأن قلبه انقطع عن الله ، ومن انقطع قلبه عن الله حل به الضعف من كل وجه ، وتعلقه بالمخلوق زاده وهناً إلى وهنه .

وعند قوله ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٦

قال الشيخ : وهذا المثل مضروب لمن عمل عملاً لوجه الله تعالى من صدقة أو غيرها ثم عمل أعمالاً تفسده ، فمثله كمثل صاحب هذا البستان الذي فيه من كل الثمرات ، فلو علم الإنسان وتصور هذه الحال وكان له أدنى مسكة من عقل لم يقدم على ما فيه مضرته ونهاية حسرته ولكن ضعف الإيمان والعقل وقلة البصيرة يصير صاحبه إلى هذه الحالة التي لو صدرت من

[1] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٦٣١.

مجنون لا يعقل لكان ذلك عظيماً وخطره جسيماً ، فلهذا أمر تعالى بالتفكر وحث عليه [1] ،فالشيخ تحدث عن صاحب هذا المثل الذي عمل لله ثم أبطل عمله بمناف له يشبه حال صاحب الجنة التي جرى عليها ما جرى حين اشتدت ضرورته إليها ، والأمثلة كثيرة في تفسيره وكتابه القواعد الحسان [2].

ثامناً : أسلوب استخراج الهدايات.

كان الشيخ السعدي ممن رزقه الله فتحاً في هذا الباب ، وقف عند آيات الله مستلهماً منها الاهتداء في العقائد والعبادات والسلوك .

ومن ذلك عند قوله ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩

قال الشيخ فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية مالا يمكن حصره :

منها : أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله .

ومنها : أن فيها تسميحاً لخواطرهم ، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث ، فإن من له الأمر على الناس إذا جمع أهل الرأي والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث ، اطمأنت نفوسهم وأحبوه ، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم ، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع ، فبذلوا جهدهم

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١١٤.

[2] انظر : المرجع السابق ، ص ٤٧٨ ، القواعد الحسان ، السعدي ، ص ٩٨ .

ومقدورهم في طاعته ، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم ، بخلاف من ليس كذلك .

ومنها : أن في الاستشارة تنور الأفكار بسبب إعمالها فيما وضعت له ، فصار في ذلك زيادة للعقول .

ومنها : ما تنتجه الاستشارة من الرأي الصيب ، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله ، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب فليس بملوم ، فإذا كان الله يقول لرسوله وهو أكمل الناس عقلاً ، وأغزرهم علماً ، وأفضلهم رأياً ، فكيف بغيره [1].فالشيخ هنا تحدث عن فوائد الشورى وكيف أنها تصل بالجميع إلى الرأي الصائب ، والمصلحة العامة التي يعم نفعها ويسود الأمن والطمأنينة في المجتمع .

ومن ذلك عند قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤ ﴾ البقرة: ١٠٤

قال الشيخ : وفيه الأدب ، واستعمال الألفاظ التي لا تحتمل إلا الحسن ، وعدم الفحش ، وترك الألفاظ القبيحة أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق ، فأمرهم بلفظة لا تحتمل إلا الحسن [2] ، فالشيخ قد أرشد إلى ما يجب أن يكون عليه الخطاب بين الناس من الألفاظ الحسنة وترك القبيح من القول ، والأمثلة كثيرة [3].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١٥٤.

[2] المرجع السابق ، ص ٦١.

[3] انظر : المرجع السابق ، ص ١٩٤ ، ص ٤٠٩ ، ص ٦١٩.

المطلب الثاني : الأساليب المنهجية في التدبر من خلال الدلالات الأصولية.

استخدم الشيخ أساليباً منهجية من خلال الدلالات الأصولية في التدبر من النصوص القرآنية ، فقال في تقرير ذلك :وتارة تؤخذ الأحكام الشرعية من المنطوق وهو مادل على الحكم في محل النطق ، وتارة تؤخذ من المفهوم وهو مادل على الحكم بمفهوم موافقة إن كان مساوياً للمنطوق أو أولى منه ، أو بمفهوم مخالفة إذا خالف المنطوق وصف بوصف أو شرط فيه شرط إذا تخلف ذلك الوصف أو شرط تخلف الحكم ، والدلالة من الكتاب والسنة ثلاثة أقسام : دلالة مطابقة إذا طبقنا اللفظ على جميع المعنى ، ودلالة تضمن إذا استدللنا باللفظ على بعض معناه ، ودلالة التزام إذا استدللنا بلفظ الكتاب والسنة ومعناهما على توابع ذلك ومتمماته وشروطه ومالا يتم ذلك المحكوم فيه أو المخبر عنه إلا به [١].

وقال كذلك : فمن وفق لذلك لم يبق عليه إلا الإقبال على تدبره وتفهمه ، وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها ، وما تتضمنه ، وما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً ، فإذا بذل وسعه في ذلك فالرب أكرم من عبده ، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أموراً لا تدخل تحت كسبه [٢].

وكان استخدامه لهذه الأساليب كما يلي :

---

[١] رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة ، أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي ، ط (بيروت ، دار ابن حزم ، الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) ، ج ١ ، ص ٦٦.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٠.

أولاً : أسلوب النظر لدلالة المطابقة .

تعريفها : هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له أولاً ، مثالها دلالة الإنسان على الحيوان الناطق [١].

نجد الشيخ يستخدم دلالة المطابقة عند قوله ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ النساء: ٥٨

قال الشيخ : الأمانات كل ما ائتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به ، فأمر الله عباده بأدائها أي : كاملة موفرة لا منقوصة ولا مبخوسة ، ولا ممطولاً بها ، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار [٢].فالشيخ فسر الآية بما دل عليه اللفظ مطابقة من أداء الأمانة كاملة غير منقوصة.

وعند قوله تعالى﴿ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ النساء: ٨٤

قال : يقتضي الأمر بكل ما فيه حث وتحريض ، وما يتوقف على ذلك من الاستعداد والتمرن على أسباب الشجاعة ، والسعي في القوة المعنوية من التآلف واجتماع الكلمة ونحو ذلك [٣].فالشيخ فسر التحريض بما دل عليه اللفظ مطابقة من أنه يشمل الاستعداد والسعي في القوة واجتماع الكلمة .

---

[١] البحر المحيط في أصول الفقه ، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي ، ط (دار الكتبي ، الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) ، ج ٢ ، ص ٢٦٩.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١٨٣.

[٣] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ٣٤.

ثانياً :أسلوب النظر لدلالة الالتزام .

تعريفها : هي أن يكون اللفظ له معنى وذلك المعنى له لازم من خارج ، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه [١].

وقد استخدم الشيخ السعدي دلالة الالتزام وكان يرى أنها مهمة فقال : كما أن المفسر للقرآن يراعي ما دلت عليه ألفاظه مطابقة وما دخل في ضمنها فعليه أن يراعي لوازم تلك المعاني ، وما تستدعيه من المعاني التي لم يصرح اللفظ بذكرها ، وهذه القاعدة من أجلّ قواعد التفسير وأنفعها وتستدعي قوة فكر وحسن تدبر وصحة قصد ، فإن الذي أنزله هو العالم بكل شيء ، وما تضمنه المعاني وما يتبعها ويتقدمها وتتوقف هي عليه ، ولهذا أجمع العلماء على الاستدلال باللازم في كلام الله لهذا السبب [٢].

و من ذلك عند قوله ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ ﴾ البقرة: ٤١

قال الشيخ : وهو القرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ، فأمرهم بالإيمان به واتباعه ، ويستلزم ذلك الإيمان بمن أنزل عليه [٣].هذه الآية فيها أمر بالإيمان بالقرآن الذي أنزل على محمد ، والشيخ بناءً على دلالة اللزوم استنبط من هذا الأمر أنه يجب الإيمان بالنبي لأنه إذا لم يؤمن به فمن باب أولى لا يؤمن بما جاء به ، ولأنه لا يتم الإيمان بالقرآن إلا بالإيمان بمن جاء به وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

---

[١] الإحكام في أصول الأحكام ،أبو الحسن علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي ، تحقيق عبدالرزاق عفيفي ، ط (بيروت ، المكتب الإسلامي) ، ج ١ ، ص ١٥.

[٢] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ٣١.

[٣] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٥٠.

وعند قوله ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ البقرة: ١٨٧

قال : وفيه أيضـــاً دليل على أنه يجوز أن يدركه الفجر وهو جنب من الجماع، قبل أن يغتسل ويصح صيامه ، لأن لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر أن يدركه الفجر وهو جنب ، ولازم الحق حق [١] .

فهذه الآية فيها إباحة الأكل والشـــرب والجماع إلى آخر لحظة من الليل قبل طلوع الفجر ، وهذا يستلزم بداهة جواز طلوع الفجر على المسلم وهو جنب من أهله لم يغتسل بعد ، وبالتالي صحة صيامه إذا أصبح جنباً بدلالة اللزوم ، والأمثلة كثيرة في تفسيره [٢].

ثالثاً : أسلوب النظر لدلالة التضمن .

دلالة التضمن : هي دلالة اللفظ على جزء من مسماه كدلالة الإنسان على الحيوان، أو على الناطق، وكدلالة لفظ الكتاب على الورق وحده أو الغلاف[٣].

---

[١] المرجع السابق ، ص ٨٧.

[٢] انظر : تيسير الكريم الرحمن ، ص ٢٦٥

[٣] شرح الكوكب المنير ، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي ، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد ، ط (مكتبة العبيكان ، الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) ، ج ١ ، ص ١٢٦.

نجد الشيخ يستخدم دلالة التضمن في تفسير الآية ، ومن ذلك عند قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ آل عمران: ٢٣

قال الشيخ : فأخبر الله تعالى عنهم أنهم إذا دعوا إلى حكم الكتاب تولى فريق منهم وهم يعرضون ، تولوا بأبدانهم ، وأعرضوا بقلوبهم ، وهذا غاية الذم ، وفي ضمنها التحذير لنا أن نفعل كفعلهم فيصيبنا من الذم والعقاب ما أصابهم ، بل الواجب على كل أحد إذا دعي إلى كتاب الله أن يسمع ويطيع وينقاد [١].فهذا النص بين فيه الشيخ دلالة التضمن التي دلت عليها الآية ، وذلك أن الله ذم أهل الكتاب لما رفضوا التحاكم إلى كتاب الله ، فهذا الذم يتضمن تحذيرنا من اتباعهم في ذلك والاقتداء بهم ، لأن ذلك يؤدي إلى ذمنا كذمهم .

وعند قوله ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الأنبياء:٧

قال الشيخ : فسئلوا أهل العلم بذلك الذين نزلت عليهم الزبر والبينات فعلموها وفهموها ، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم ، حيث أمر بسؤالهم وأنه بذلك يخرج الجاهل من التبعة [٢].فالشيخ هنا تدبر من أمر الله تعالى سؤال أهل العلم أن ذلك يتضمن تعديلهم ، لأنهم لولم يكونوا عدولاً لما جاز سؤالهم.

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١٢٦.

[٢] المرجع السابق ، ص ٤٤١.

رابعاً : أسلوب النظر لدلالة التضمن واللزوم .

استخدم الشيخ دلالة التضمن واللزوم في تفسيره ، ومن ذلك :

عند قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الحشر: ١٠

قال الشيخ : ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منها واستغفار بعضهم لبعض واجتهادهم في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا ، ومتضمن لمحبة بعضهم بعضا ، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن ينصح له حاضراً وغائباً حياً وميتاً [١].بين الشيخ السعدي دلالتي التضمن واللزوم في الآية حيث أن استغفار المؤمنين من ذنوبهم ومحاولتهم لإزالة الحقد والغل تجاه إخوانهم وهذا بدلالة اللزوم ، كما تدل الآية على محبة المؤمن لأخيه المؤمن وهذا بدلالة التضمن .

وعند قوله ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الرعد: ٢٤

قال الشيخ : أي حلت عليكم السلامة والتحية من الله ، وحصلت لكم وذلك متضمن لزوال كل مكروه ومستلزم لحصول كل محبوب [٢]. وهذه السلامة التي بشرت بها الملائكة المؤمنين تتضمن زوال كل النقائص بدلالة التضمن، ويستلزم حصول كل لذة بدلالة اللزوم وقد بين الشيخ ذلك ،والأمثلة كثيرة في تفسيره [٣].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٨٥١.

[٢] المرجع السابق ، ص ٤١٦.

[٣] انظر : المرجع السابق ، ص ٦٥ ، ص ٨٣ ، ص ١١٠.

خامساً : أسلوب النظر لدلالة مفهوم المخالفة .

تعريفها : هي ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محل النطق [١].

استخدم الشيخ مفهوم المخالفة كثيراً ،ومن ذلك عند قوله ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ البقرة: ١٨٤

قال الشيخ : ودل تقييد التطوع بالخير أن من تطوع بالبدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله ، أنه لا يحصل له إلا العناء ، وليس بخير له ، بل قد يكون شراً له إن كان متعمداً عالماً بعدم مشروعية العمل [٢].فنص الآية دل على التطوع بالخير خير والشيخ استدل بمفهوم المخالفة أن التطوع بالبدع ليس بخير .

وعند قوله ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ﴾ البقرة: ١٩٦

قال : ويدل مفهوم الآية أن المفرد للحج ليس عليه هدي [٣] ، فالشيخ تدبر بمفهوم المخالفة أن أن المفرد ليس عليه هدي ، والأمثلة على ذلك كثيرة في تفسيره [٤].

---

[١] الإحكام ، الآمدي ، ج ٣ ، ص ٦٩.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٧٦.

[٣] المرجع السابق ، ص ٩١.

[٤] انظر : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ ، ص ٢٨٧ ، ص ٩٢١.

سادساً: أسلوب النظر لدلالة النص (مفهوم الموافقة) .

تعريفها : ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقاً لمدلوله في محل النطق [١].

وقد استعمل الشيخ السعدي هذه الدلالة ، ومن الأمثلة على ذلك عند قوله ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ البقرة: ٢٨٢، قال الشيخ: ومن فوائد الآية أن من نسي شهادته ثم ذُكّرها فذكر فشهادته مقبولة لقوله " فتذكر إحداهما الأخرى " [٢] ، ووجه ذلك أن في الآية قبول تذكير إحدى النساء للأخرى في الشهادة ، فتدبر الشيخ منها أن من نسى شهادته ثم ذكرها فشهادته صحيحة مقبولة بدلالة مفهوم الموافقة.

ومن ذلك عند قوله ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ الممتحنة: ١٠، قال الشيخ: وإذا نهى عن الإمساك بعصمتها ، فالنهي عن ابتداء تزويجها أولى [٣] ، فالله تعالى نهى المؤمنين عن الإمساك بنسائهم الكافرات ، فمن باب أولى أن يكون النهي عن ابتداء نكاح الكافرات وهذا الذي تدبره الشيخ بمفهوم الموافقة، والأمثلة على ذلك كثيرة في تفسيره [٤].

---

[١] الإحكام ، الآمدي ، ج ٣ ، ص ٦٦.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ،السعدي ، ص ١١٨.

[٣] المرجع السابق ، ص ٨٥٧.

[٤] المرجع السابق ، ص ٨٨ ، ص ١١٩.

سابعاً : أسلوب النظر لمفهوم الإشارة .

تعريفها : ما يؤخذ من إشـــارة اللفظ لا من اللفظ ، ونعني به ما يتســـع اللفظ من غير تجريد قصدٍ إليه [١].

وقد استخدم الشيخ السعدي تلك الدلالة في تفسيره كثيراً ، ومن الأمثلة على ذلك عند قوله ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩ ﴾ البقرة: ١٨٩

قال الشيخ : ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور ، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب ، الذي قد جعل له موصلاً ، فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن ينظر في حالة المأمور ، ويستعمل معه الرفق والسياسة التي بها يحصل المقصود أو بعضه ، والمتعلم والمعلم ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله ، يحصل به مقصوده ، وهكذا كل من حاول أمراً من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه ، فلابد له أن يحصـــل له المقصود بعون الملك المعبود [٢] ، فالشيخ تدبر من هذه الآية بمفهوم الإشارة أن الإنسان ينبغي له أن يسلك أقرب الطرق وأسهلها الموصلة إلى مبتغاه ، وهكذا كل أمر يعرض للإنسان في حياته يأتيه من أسهل الطرق وأقربها إليه، فإذا فعل ذلك حصل له مقصوده .

---

[١] المستصفى ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق محمد عبدالسلام عبدالشافي ، ط (دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م) ، ص ٢٦٣.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٨٨.

وعند قوله ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٢

قال الشيخ : وفي هذا إشارة للمؤمنين بالنصر والغلبة وتحذير للكفار ، وقد وقع كما أخبر تعالى فنصر الله المؤمنين على أعدائهم ، ففي هذا عبرة وآية من آيات القرآن المشاهدة بالحس والعيان [١] ، وغير ذلك من الأمثلة [٢].

ثامناً : أسلوب النظر إلى القيود غير المقصودة في النص .

كان الشيخ السعدي يتدبر من خلال هذا الأمر ، بل وضع قاعدة في ذلك فقال:

الأصل أن الآيات التي فيها قيود لا تثبت أحكامها إلا بوجود تلك القيود إلا في آيات يسيرة ، وبين منزلة هذه القاعدة بقوله : وهذه قاعدة لطيفة ، فإنه متى رتب الله في كتابه حكماً على شيء وقيده بقيد ، أو شرط لذلك شرطاً ، تعلق الحكم به على ذلك الوصف الذي وصفه الله تعالى،وإنما المقصود ذكر المستثنى من هذا الأصل [٣].

وقد طبق الشيخ تلك القاعدة على كثير من الآيات ، ومن الأمثلة على ذلك عند قوله ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ النساء: ٢٣

---

[١] المرجع السابق ، ص ١٢٣.

[٢] المرجع السابق ، ص ١٩٤ ، ص ١٨٥.

[٣] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ٧٦.

قال الشيخ : وقد قال الجمهور إن قوله "اللاتي في حجوركم " قيد خرج مخرج الغالب لا مفهوم له فإن الربيبة تحرم ولو لم تكن في حجره ، ولكن للتقييد بذلك فائدتان إحداهما : فيه التنبيه على الحكمة في تحريم الربيبة ، وأنها كانت بمنزلة البنت فمن المستقبح إباحتها ، الثانية : فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة ، وأنها بمنزلة من هي في حجره من بناته ونحوهن ، والله أعلم [1]. فالشيخ أقر قول الجمهور بأن هذا القيد لا يراد منه إباحة الربيبة التي خارج الحجر ، إنما ذكر لفائدتين الحكمة من تحريم الربيبة وجواز الخلوة بها، ولذلك فإن الربيبة تحرم على زوج أمها مطلقاً إذا دخل الزوج بأمها .

وعند قوله تعالى ﴿ * وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ البقرة: ٢٨٣

قال الشيخ: ولما كان المقصود بالرهن التوثق ، جاز حضراً وسفراً ، وإنما نص الله على السفر لأنه في مظنة الحاجة إليه لعدم الكاتب فيه [2] ،ذكر الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية أن الرهن يجوز تسليمه سواء في الحضر أو السفر ، وإنما قيد بالسفر في الآية مظنة لعدم وجود الكاتب بعكس الحضر ، والأمثلة عند الشيخ كثيرة [3].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١٧٣.

[2] المرجع السابق ، ص ١١٩.

[3] انظر : المرجع السابق ، ص ٥٣ ، ص ٢٧٩ ، ص ٥٦٠.

تاسعاً : أسلوب النظر إلى تغير العرف بتغير الزمان والمكان .

العرف هو: ما يتعرفه أكثر الناس ، ويجري بينهم من وسائل التعبير ، وأساليب الخطاب والكلام ، وما يتواضعون عليه من الأعمال ، ويعتادونه من شؤون المعاملات ، مما لم يوجد في نفيه ولا إثباته دليل شرعي [١].

وقد أصل الشيخ لهذه القاعدة في كتابه (القواعد الحسان) فقال :القرآن يجري في إرشاداته مع الزمان ، والأحوال في أحكامه الراجعة للعرف ، والعوائد .

وقد بين أهمية تلك القاعدة فقال : فإن الله أمر عباده بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، فما كان من المعروف لا يتغير في الأحوال والأوقات كالصلاة والزكاة وغيرها ، فإنه أمر به في كل وقت ، والواجب على الآخرين نظير الواجب على الأولين من هذه الأمة ، وما كان من المنكر لا يتغير بتغير الأوقات كالشرك والقتل وغيرها ، ثبت في كل زمان ومكان ، وما كان يختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة والأحوال ، هو المراد هنا ، فإن الله تعالى يردهم فيه إلى العرف والعادة ، والمصلحة المتعينة في ذلك الوقت [٢].

وقد مثل الشيخ لذلك بعدة أمثلة منها عند قوله ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ الأعراف: ٣١

---

[١] الشامل في حدود وتعريفات مصطلحات علم أصول الفقه ، عبدالكريم بن علي بن محمد النملة ، ط (الرياض ، مكتبة الرشد ، الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م) ، ج ٢ ، ص ٧٨٩.

[٢] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ٦٢.

قال الشيخ : فأمر عباده بالأكل والشرب واللباس ، ولم يعين شيئاً من الطعام والشـــراب واللباس ، وهو يعلم أن هذه الأمور تختلف باختلاف الأحوال ، فيتعلق بها أمره حيث كانت ، لا ينظر إلى ماكان موجوداً منها وقت نزول القرآن فقط [١]. فهذا النص ذكر فيه الشيخ أن الآية لم تعين شيئاً من الطعام والشـــراب واللباس ، وإنما هو متروك لعرف الناس ويتغير بتغير الزمان والمكان .

وعند قوله ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ النساء: ١٩

قال الشيخ : وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية ، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف من الصـــحية الجميلة ، وكف الأذى وبذل الإحســـان ، وحســـن المعاملة ، ويدخل في ذلك النفقة والكســـوة ونحوهما ، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان ، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال [٢]، فهذه الآية أمر الله فيها بمعاشـــرة النســـاء بالمعروف ، والشيخ تدبر منها أن الزوجة لها النفقة والكسوة بحسب عرف الناس وتغير الزمان والمكان ، وغير ذلك من الأمثلة في تفسيره [٣].

---

[١] المرجع السابق ، ص ٦٣.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١٧٢.

[٣] القواعد الحسان ،السعدي ، ص ٩٦-٩٧.

عاشراً : أسلوب القياس .

القياس هو : حمل معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما ، من إثبات حكم أو صفة أو نفيه عنهما [١].

من الأساليب التي استخدمها الشيخ السعدي في التدبر القياس ، وقد قال في بيان استخدامه :

ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصـــول الدين وفروعه إلى الله وإلى رســوله ، أي إلى كتاب الله وســنة رســوله ، فإن فيهما الفصــل في جميع المســائل الخلافية ، إما بصــريحهما أو عمومهما ، أو إيماءً ، أو تنبيه ، أو مفهوم ، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه [٢].

ومن ذلك عند قوله تعالى ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾ النساء: ٨

قال الشيخ : يؤخذ من المعنى أن كل من له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنســان ينبغي له أن يعطيه منه ما تيســر ، كما كان النبي يقول " إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فليجلســه معه ، فإن لم يجلســه معه فليناوله أكلة أو أكلتين ، أو لقمة أو لقمتين "[٣] ، وهذا كله مع إمكان الإعطاء ، فإن لم

---

[١] المحصول ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الرازي ، الملقب بفخر الدين الرازي، تحقيق طه جابر العلواني ، ط (مؤسسة الرسالة ، الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) ، ج ٥، ص ٥ .

[٢] تيسير الكريم الرحمن ،السعدي ، ص ١٨٣.

[٣] صـــحيح البخاري ، البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب الأكل مع الخادم ، ج ٧ ، ص ٨٢.

يمكن ذلك لكونه حق ســـفهاء ، أو ثم أهم من ذلك فليردوهم رداً جميلاً بقول حسن غير فاحش ولا قبيح [١].فالشيخ تدبر من الآية أن من حضر بين يدي شخص وله تطلع وتشوف للعطاء أن يعطيه ما تيسر ، ووجه ذلك من الآية أن الله حث أصحاب القسمة على إعطاء من حضر القسمة ، لأن حضوره هنا تطلعاً وتشوفاً للعطاء ، فقاس على ذلك الحالات الشبيهة ، فمتى حضر من له تشوف فإنه يستحب إعطاءه.

ومن ذلك عند قوله ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة: ١٠٣

حيث قال : ودل تعليل الآية الكريمة أن كل ما أعان على فعل الخير ، ونشط عليه ، وسكن قلب صاحبه أنه مطلوب ومحبوب لله ، وأنه ينبغي للعبد مراعاته وملاحظته في كل شأن من شؤونه ، فإن من تفطن له فتح له أبواباً نافعة له ولغيره بلا تعب ولا مشقة ، وأنه ينبغي إدخال السرور على المؤمنين [٢]. تدبر الشـــيخ من هذه الآية أن كل أمر فيه إعانة على فعل الخير فإنه محبوب ، ووجه ذلك من الآية أن الله بين أن دعاء النبي للمتصدقين تسكن به قلوبهم فيسارعون في أداء الصدقات ، فأخذ من هذا التعليل قياس غيره من المنشـــطات عليه ، كما أن الدعاء فيه إدخال الســـرور على نفوس المتصدقين فأخذ منه أنه ينبغي إدخال السرور على النفوس بأي شيء تسعد به ، والأمثلة كثيرة في تفسيره [٣].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١٦٥.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٧٨.

[٣] انظر ، المرجع السابق ، ص ١٩٠ ، ص ١٩٨ ، ٥٧٤.

الحادي عشر: أسلوب النظر في سياق الآيات إذا كانت في أمور خاصة ، جاء الحكم عام ليشملها ويشمل غيرها.

إذا تكلم الله في كتابه الكريم على أمور خاصة أو على شيء معين ، وأراد الله أن يحكم على ذلك الشئ المعين بحكم غير مختص به بل يشمله ويشمل غيره مما لم يذكر في السياق ، فالله تعالى يعلقه على وصف عام لا على الأفراد ، وفي ذلك يقول الشيخ : هذه القاعدة الشريفة لم يزل الله يبدئ فيها ويعيد إذا كان السياق في بعض الجزئيات وأراد أن يرتب عليه ثواباً أو عقاباً، وكان ذلك مشتركاً بينه وبين الجنس الداخل فيه ، رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تندرج تحته ، ولئلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر الجزئي، فهذا من أسرار القرآن البديعة [1].

ومن ذلك عند قوله ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ آل عمران: ١٦١

قال الشيخ : "ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة " أي يأت به حامله على ظهره ، حيواناً كان أو متاعاً أو غير ذلك ، ليعذب به يوم القيامة ، "ثم توفى كل نفس ما كسبت " الغال وغيره ، كل يوفى أجره ووزره على مقدار كسبه ، وتأمل حسن هذا الاحتراز في هذه الآية الكريمة لما ذكر عقوبة الغال وأنه يأتي يوم القيامة بما غله ، ولما أراد أن يذكر توفيته وجزاءه كان الاقتصار على الغال يوهم بالمفهوم أن غيره من أنواع العاملين قد لا يوفون ، أتى بلفظ عام جامع له ولغيره [2] ، فالشيخ تدبر من هذه الآية مناسبة تعميم التوفية ،

---

[1] المرجع السابق ، ص ٢١١.

[2] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ١٥٥.

وبين أن مناسبة ذلك هو دفع توهم اقتصار التوفية على الغال ، فأتى بلفظ جامع لبيان أن العاملين جميعهم يوفون أعمالهم .

وعند قوله ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٧ - ١٥٨

قال الشيخ : "أولئك هم المفلحون " الظافرون بخيري الدنيا والآخرة ، والناجون من شرهما لأنهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح ، وأما من لم يؤمن بهذا النبي الأمي ويعزره وينصره ولم يتبع النور الذي أنزل معه فأولئك هم الخاسرون ، ولما دعى أهل التوراة من بني إسرائيل إلى اتباعه وكان ربما توهم متوهم أن الحكم مقصور عليهم أتي بما يدل على العموم فقال "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا" أي عربيكم وعجميكم أهل الكتاب منكم وغيرهم [١] ، فالشيخ تدبر من هذه الآية مناسبة الإتيان بلفظ عام في دعوة الناس ، وأن مناسبة ذلك دفع توهم قصر الدعوة على أهل الكتاب ، فأتى بلفظ عام يدفع هذا التوهم وأن هذا الحكم عام يشملهم ويشمل غيرهم ، والأمثلة كثيرة في تفسيره [٢].

[١] المرجع السابق ، ص ٣٠٥.

[٢] انظر : المرجع السابق ، ص ٥٧ ، ص ٦٥٣ ، ٢١٢.

الثاني عشر: أسلوب الأمر بالشئ نهي عن ضده ، والنهي عن الشئ أمر بضده .

الأمر : اللفظ الدال على طلب الفعل على وجه الاستعلاء والنهي : مادل على طلب الكف عن الفعل [١].

فالله عز وجل إذا أمر عباده بشئ فإن ذلك يتضمن نهيهم عن ضده من جهة المعنى وليس من جهة اللفظ ، وكذلك إذا نهى عن شيء فإن النهي يستلزم الأمر بضده ، وقد نبه على عظم فائدة هذه القاعدة فقال : فتفطن لهذه القاعدة في كل ما يمر عليك من الآيات القرآنية في هذه الأمور وغيرها تنل خيراً كثيراً [٢].

١- الأمر بالشئ نهي عن ضده .

من ذلك عند قوله﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ البقرة: ٨٣

قال الشيخ : أي أحسنوا بالوالدين إحساناً ، وهذا يعم كل إحسان قولي أو فعلي مما هو إحسان إليهم ، وفيه نهي عن الإساءة إلى الوالدين أو عدم الإحسان والإساءة ، لأن الواجب الإحسان ، والأمر بالشئ نهي عن ضده وللإحسان ضدان ، الإساءة وهي أعظم جرماً ، وترك الإحسان بدون إساءة وهذا محرم ، ولكن لا يجب أن يلحق بالأول ، وكذا يقال في صلة الأقارب

---

[١] أصول الفقه الإسلامي ، وهبة الزحيلي ، ط (دمشق ، دار الفكر ، الرابعة عشر ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ، ج ١ ، ص ٢١٤.

[٢] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ١٢١.

واليتامى والمساكين [1] ، فهذه الآية أمر الله تعالى فيها بالإحسان إلى الوالدين ، وهذا الأمر يستلزم عدم فعل ما هو ضد الإحسان وقد ذكر الشيخ ضدين له وهما الإساءة وعدم الإحسان وكلاهما منهي عنه .

وعند قوله ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ النساء:٨٦

قال الشيخ : فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي تحية كانت أن يردوها بأحسن منها لفظاً وبشاشة أو مثلها في ذلك ، ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية أو ردها بدونها [2] ، فالشيخ ذكر أن الله أمر المؤمنين برد التحية بمثلها أو أفضل منها ، وأنه تعالى ينهى عن عدم رد التحية كلية أو الرد بتحية أدنى مما حيي به .

٢- النهي عن الشئ أمر بضده .

من ذلك عند قوله ﴿ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ هود: ٨٤

قال الشيخ : بل أوفوا الكيل والميزان بالقسط [3] ، فهذه الآية نهى الله تعالى فيها الناس أن ينقصوا في كيل ووزن ، فذكر الشيخ من هذا النهي أن الله تعالى أمر عباده بتوفية كيل الأشياء وأوزانها .

وعند قوله ﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ النساء: ٨٩

قال الشيخ : وهذا يستلزم عدم محبتهم ، لأن الولاية فرع المحبة ، ويستلزم أيضاً بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشئ أمر بضده ، وهذا الأمر مؤقت

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٥٧.

[2] المرجع السابق ، ص ١٩١.

[3] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٨٧.

بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين [١] ، فهذه الآية نهى الله تعالى فيها المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء ، وأخذ الشيخ من هذا النهي أن الله يأمر عباده بعدم محبتهم بل وأمر ببغضهم وعداوتهم ، ووجه ذلك أن النهي عن شيء أمر بضده ، والأمثلة في تفسيره كثيرة [٢].

المطلب الثالث : الأساليب المنهجية في التدبر من خلال اللغة والبلاغة .

أولاً : أسلوب النظر إلى دخول الألف واللام على الأوصاف وأسماء الجنس:

إذا وجدنا وصفاً أو اسم جنس في القرآن الكريم دخلت عليه " أل" التي تفيد الاستغراق فإن جميع المعاني والأفراد الداخلة تحت ذلك الوصف أو اسم الجنس تكون مرادة في ذلك الموضع وذلك حسب ما دخلت عليه ، وهي من القواعد المهمة التي ذكرها الشيخ السعدي في كتابه (القواعد الحسان) فقال : الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه، وقد نص على ذلك أهل الأصول وأهل العربية ، واتفق على اعتبار ذلك أهل العلم والإيمان [٣].

ومن الأمثلة على دخول الألف واللام على الأوصاف :

قوله ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٥ - ٨٦

قال الشيخ : والصبر هو حبس النفس ومنعها مما تميل بطبعها إليه ، وهذا يشمل أنواع الصبر الثلاثة : الصبر على طاعة الله ، والصبر على معصية

---

[١] المرجع السابق ، ص ١٩١.

[٢] انظر : المرجع السابق ، ص ٥١٩ ، ص ٥٩٨.

[٣] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ١٣.

الله ، والصبر على أقدار الله المؤلمة ، فلا يستحق العبد اسم الصبر التام حتى يوفي هذه الثلاثة حقها ، ووصفهم أيضاً بالصلاح وهو يشمل صلاح القلوب بمعرفة الله ومحبته والإنابة إليه في كل وقت ، وصلاح اللسان بأن يكون رطباً من ذكر الله ، وصلاح الجوارح باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي ، فبصبرهم وصلاحهم أدخلهم الله برحمته وجعلهم مع إخوانهم المرسلين [1] ، فهذا النص ذكر فيه الشيخ أن الأنبياء المذكورين في الآية أثنى الله عليهم لأنهم استغرقوا أوصاف الصبر والصلاح بجميع أنواعها ، وهذا المعنى إنما اخذه الشيخ من اقتران هذا الوصف بأل الاستغراقية .

وعند قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ الأنفال: ٢

قال الشيخ : ولما كان الإيمان قسمين : إيماناً كاملاً يترتب عليه المدح والثناء والفوز التام ، وإيماناً دون ذلك ، ذكر الإيمان الكامل فقال (إنما المؤمنون) الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان [2]، فهذا النص فيه تصريح من الشيخ أن الألف واللام لما دخلت على وصف الإيمان استغرقت جميع شرائعه ،والأمثلة كثيرة في تفسيره [3].

ومن أمثلة دخول الألف واللام على أسماء الأجناس :

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٥٢٩.

[2] المرجع السابق ، ص ٣١٥.

[3] انظر : المرجع السابق ، ص ٣٦٩ ، ص ٥٢٤ ، ص ٦٤٦.

قوله تعالى﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠﴾ النمل: ٨٩ - ٩٠

قال الشيخ : (بالحسنة) اسم جنس يشمل كل حسنة قولية أو فعلية أو قلبية، (وبالسيئة) اسم جنس يشمل كل سيئة [١]، فهذا النص صرح فيه الشيخ أن لفظي الحسنة والسيئة هما من أسماء الأجناس فاشتملا على كل حسنة وكل سيئة قولية أو فعلية أو قلبية ، وذلك لما دخلت عليهما أل الاستغراقية .

وأحياناً لا يصرح بأن اللفظ اسم جنس بل يعمم المعنى مباشرة ومن ذلك عند قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَاقَ ٢٠ ﴾ الرعد: ٢٠

قال الشـــيخ : أي العهد الذي عاهدوا عليه الله فدخل في ذلك جميع المواثيق والعهود والأيمان والنذور التي يعقدها العباد فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم إلا بأدائها كاملة وعدم نقضـــها وبخســـها [٢] ، فهذا النص عمم فيه الشـيخ كلمة الميثاق حيث جعلها تشـمل جميع المواثيق لأنها اسم جنس حلي بالألف واللام ، والأمثلة في تفسير الشيخ كثيرة [٣].

ثانياً : أسلوب دلالة المفرد المضاف .

إذا جاء في القرآن اسـم مفرد ثم أضـيف إلى شـيء ، فإن هذه الإضـافة تدل على استغراق جميع المعاني التي تضمنها ذلك الاسم المفرد ، فثبتت الأحكام المتعلقة بذلك المفرد على جميع المعاني التي اشتمل عليها المفرد إلا إذا جاء

---

[١] المرجع السابق ، ص ٦١٠.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، ص ٤١٦.

[٣] انظر : المرجع السابق ، ص ٤١٦ ، ص ٥٨٧ ، ص ٨٢٨ ، ص ٨٩٢.

دليل يدل على تخصيص بعضها بحكم آخر ، وهذا العموم الذي أفاده الاسم المفرد إنما أفاده بالإضـــافة بدليل أننا لو نظرنا إليه مفرداً لما دل على العموم[١]

وقد أشار الشيخ السعدي إلى هذا الأمر في كتابه (القواعد الحسان) فقال :المفرد المضاف يفيد العموم ، كما يفيد ذلك اسم الجمع [٢] ، وقد طبق الشيخ تلك القاعدة كثيراً في تفسيره ، ومن الأمثلة على ذلك :

عند قوله ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ النساء:١١٥

قال الشيخ : (سبيل المؤمنين) مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال ، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه أو تحريمه أو كراهيته أو إباحته فهذا سبيلهم ، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه فقد اتبع غير سبيل المؤمنين [٣] ، فكلمة سبيل مفردة وقد أضيفت إلى المؤمنين فصارت تعم جميع ما أجمع عليه المؤمنون من عقائد وأعمال وقد صرح الشيخ بذلك .

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ ﴾ الزمر:٦٥

---

[١] شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن ، محمد بن صالح العثيمين ، ط (المنصورة ، دار الغد الجديد ، الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٥م)،ص ١٥.

[٢] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ١٨.

[٣] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٢٠٢.

قال الشـيخ : هذا مفرد مضـاف يعم كل عمل ، ففي نبوة جميع الأنبياء أن الشرك محبط لجميع الأعمال[١].

فقوله تعالى "عملك" مفرد أضيف للنبي صلى الله عليه وسلم فعم جميع الأعمال ، وأنه إذا خالطها شـرك لم تكن مقبولة ، وقد ذكر الشـيخ هذا المعنى ، والأمثلة عند الشيخ كثيرة [٢].

ثالثاً : أسلوب النظر إلى حروف المعاني .

تعريفها : هي التي وضـعت لمعانٍ تتميز بها عن حروف المباني ، وهذه الحروف لا تدل على معنى في ذاتها بل تدل على معنى في غيرها ، وتوقف فهم العبارات على فهم معنى الحرف [٣].

ومعرفة دلالة هذه الحروف له سـرٌ عجيب في فهم معاني القرآن الكريم فهماً دقيقاً واسعاً ، يتبين معه سر بديع عظمة كتاب الله تبارك وتعالى ، وسـيجد من تذوق دلالة هذه الحروف الفرق الشـاسـع بين فهمه لآيات الكتاب قبل وبعد ، وسـيقع في قلبه من توقير وتعظيم كتاب الله مالم يخطر له على بال ، وأكبر من هذا أن الخطأ في تحديد المعنى المراد للحرف في هذا السياق المعين قد يقلب المعنى المراد تماماً ، أو يضعف فهمك له ، أو يخل ببلاغة وفصاحة هذا الكتاب المعجز [٤].

---

[١] المرجع السابق ، ص ٧٢٩.

[٢] انظر : تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٦٥ ، ص ٤٢٦ ، ص ٥٤٧.

[٣] الوجيز في أصول الفقه ، محمد مصطفى الزحيلي ، ط (دمشق ، دار الخير ، الثانية ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م) ، ح ٢ ، ص ١٧١.

[٤] المراحل الثمان لطالب فهم القرآن ، عصـام بن صـالح العويد ، ط (الرياض ، مركز تدبر ، الثانية ١٤١٣هـ – ٢٠١٠م) ، ص ٦٧.

ومن الأمثلة التي تبين ذلك عند الشيخ السعدي :

عند قوله ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ ﴾ البقرة: ١٨٤

في هذه الآية قال الله تعالى (على سفر) ولم يقل في سفر ، وقد بين الشيخ سر ذلك فقال :

قوله (على سفر) أعم من قوله (في سفر) ليدخل فيه من أقام في بلد أو برية ولم يقطع سفره ، بل هو على سفر ، وإن لم يكن في سفر [١].

وعند قوله ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ البقرة:٥

قال الشيخ : وأتى ب (على) في هذا الموضع الدالة على الاستعلاء ، وفي الضلالة يأتي ب (في) كما في قوله﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ سبأ: ٢٤لأن صاحب الهدى مستعل بالهدى ، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتقر[٢]، فالشيخ قد ذكر أن لكل حرف في اللغة معنى خاص به جاء ليخدم المعنى القرآني لا أن المعنى يخدم الألفاظ، لذا ناسب التعبير ب"على" للهداية فصاحب الهداية مرتفع بها ، وحرف

---

[١] المواهب الربانية ، السعدي ، ص ١٤.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٤١.

الظرفية "في" مناسب للضلالة والانغماس فيها ، وهذا من بلاغة القرآن ، والأمثلة كثيرة في تفسيره [1].

رابعاً : أسلوب اختيار المفردة القرآنية .

من يتأمل تفسير الشيخ السعدي يجد أن له عناية بالتدبر من خلال اختيار المفردة القرآنية ،ولعل العامل الأساسي في اختيار المفردة دون غيرها هم ما تحققه اللفظة المختارة وما تعطيه من معانٍ ودلالات ، ومن الأمثلة على ذلك عند قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ البقرة: ٣

قال الشيخ : لم يقل يفعلون الصلاة أو يأتون الصلاة ، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة ، فإقامة الصلاة إقامتها ظاهراً بإتمام أركانها، وواجباتها ، وشروطها ، وإقامتها باطناً بإقامة روحها ، وهو حضور القلب فيها ، وتدبر ما يقوله ويفعله منها [2]. فالشيخ تأمل في اختيار لفظ " ويقيمون" بدل لفظ يفعلون وأنها جاءت لتشمل الإقامة ظاهراً وباطناً .

وعند قوله ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ١٤٥

قال الشيخ : إنما قال "أهوآءهم " ولم يقل دينهم لأن ما هم عليه مجرد أهوية نفس ، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين ، ومن ترك الدين اتبع

---

[1] انظر ، المرجع السابق ، ص ٢٥٦ ، ص ٤٠٥.

[2] المرجع السابق ، ص ٤٠.

الهوى ولا محالة [١].في هذا النص بين الشـــيخ المقصـــود من اختيار كلمة أهوآءهم ليدل على أن ما يعتقدوه مجرد هوى يعتقدوه في أنفسهم .

وعند قوله ﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾ الأحزاب: ٣٢

قال الشـــيخ : ولم يقل " فلا تلن بالقول" وذلك لأن المنهي عنه القول اللين الذي فيه خضـوع المرأة للرجل ، وانكسـارها عنده ، والخاضـع هو الذي يطمع فيه بخلاف من تكلم كلاماً ليناص ليس فيه خضـوع بل ربما صـار فيه ترفع وقهر للخصم فإن هذا لا يطمع فيه خصمه[٢] . والأمثلة كثيرة في تفسيره[٣].

خامساً : أسلوب التنكير .

إن مجئ لفظ في القرآن معرفـة ، ومجئ لفظ آخر نكرة ، ومجئ لفظ آخر معرفة في موضـع ونكرة في موضـع آخر ، لم يكن مصـادفةً في القرآن ، إنما هو مقصـود في كل موضـع ، وجئ به على تلك الحالة لينسـجم مع السـياق الذي ورد فيه ويتناسق معه .

وإن تدبر الســـياق في الآية يقود إلى معرفة الحكمة في مجئ اللفظ معرفة فيها، بينما ورد اللفظ نفسه نكرة في موضع آخر ، فالسياق المعجز هو الحكم في ذلك ، وهو الأساس في سر اختيار اللفظ معرفة أو نكرة [٤].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٧٢.

[٢] المرجع السابق ، ص ٦٦٣.

[٣] المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ص ٧١ ، ص ٥٥٨.

[٤] إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، صلاح عبدالفتاح الخالدي ، ط (عمان ، دار عمار ، الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) ، ص ٢٣٠.

ولقد كان الشيخ يتدبر من خلال النظر النظر إلى أسلوب التنكير في القرآن الكريم ، ومن الأمثلة على ذلك :

عند قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ البقرة:٥

قال مبيناً دلالة التنكير في (هدى) :

أي على هدىً عظيم ، لأن التنكير للتعظيم ، وأي هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة ، وهل الهداية الحقيقية إلا هدايتهم [١].

وعند قوله ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٧٩ ﴾ البقرة: ١٧٩

قال الشيخ : ونكر الحياة لإفادة التعظيم والتكثير [٢] ، والأمثلة على ذلك عند الشيخ كثيرة [٣].

سادساً : أسلوب التقديم والتأخير .

هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٤٠.

[٢] المرجع السابق ، ص ٨٤.

[٣] المرجع السابق ، ص ٥١ ، ص ١٧٧ ، ص ٤٩٨.

مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء ، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان [١].

فإذا كان من الجائز أن يتقدم بعض أجزاء الجملة على بعض ، فقد التزم في جمل القرآن أن يكون هذا التقديم مشـــيراً إلى مغزى دالاً على هدف ، حتى تصبح الآية بتكوينها تابعة لمنهج يتقدم عند ما تجد النفس تقديمه أفضل من التأخير [٢].

وقد ذكر السيوطي [٣] أسباباً عديدة تكمن وراء هذا الأسلوب القرآني ملخصها ما يلي :

التقديم بقصد التبرك ، والتعظيم ، والتشريف ، والمناسبة ، الحث على أمر والحض على القيام به ، وبيان الكثرة ، والاهتمام ، والاختصاص ، والتحذير والتنفير ، والمدح والثناء ، والتحقير ، وبيان أهمية الشئ [٤].

---

[١] دلائل الإعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط (القاهرة ، مطبعة المدني ، الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) ، ج ١ ، ص ١٠٦.

[٢] من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، ط (نهضة مصر ٢٠٠٥م) ، ص ١١٢.

[٣] هو : عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد ، جلال الدين الســـيوطي ، إمام حافظ مؤرخ أديب ، له نحو ٦٠٠ مصـــنف ، منها الكبير والصـــغير ، لما بلغ ســـن الأربعين اعتزل الناس وخلا بنفســـه للتأليف ، من مصـــنفاته : الإكليل ، وتدريب الراوي ، وبغية الوعاة وغيرها ، توفي سنة ٩١١هـ . انظر : الأعلام ، الزركلي ، ج ٣ ، ص ٣٠١.

[٤] الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ج ٣ ، ص ٤٤.

وكان الشيخ السعدي يتدبر من خلال النظر إلى أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، ومن الأمثلة على ذلك :عند قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة: ٥

قال الشيخ : قدم العبادة على الاستعانة ، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماماً بتقديم حقه تعالى على حق عبده ، وذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى ، فإنه إن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي[١].فالشيخ تدبر من هذه الآية مناسبة ذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها ، وهي أن العبد محتاج إلى إعانة الله له على أداء العبادة وإلا لم يستطع أن يقوم بشئ من ذلك .

وعند قوله ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦ ﴾ الحج: ٢٦

قال الشيخ : وقدم الطواف على الاعتكاف والصلاة لاختصاصه بهذا البيت ، ثم الاعتكاف لاختصاصه بجنس المساجد [٢] . تدبر الشيخ من هذه الآية مناسبة تقديم الطواف قبل الاعتكاف والصلاة ، وهو اختصاص الطواف بالبيت ، ثم قدم الاعتكاف قبل الصلاة لاختصاصه بجنس المساجد فلا اعتكاف في غير المسجد ، والأمثلة في تفسيره كثيرة [٣].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٩.

[٢] المرجع السابق ، ص ٥٣٦.

[٣] انظر : المرجع السابق ، ص ١٦٦ ، ص ١٩٤ ، ص ٣١٥ ، ص ٣٩٦.

سابعاً : أسلوب دلالة الحذف .

المقصود بالحذف : إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل [١].

وهو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترْك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون بياناً إذا لم تُبن [٢].

وقد تحدث الشيخ السعدي عن هذا الأسلوب في كتابه (القواعد الحسان) فقال:

حذف المتعلق – المعمول فيه – يفيد تعميم المعنى المناسب له ، وهذه قاعدة مفيدة جداً ، متى اعتبرها الإنسان في الآيات القرآنية اكتسب فوائد جليلة ، وذلك أن الفعل أو ماهو في معناه ، متى قيد بشئ تقيد به ، فإذا أطلقه الله تعالى وحذف المتعلق فعمم ذلك المعنى ، ويكون الحذف هنا أحسن وأفيد كثيراً من التصريح بالمتعلقات ، وأجمع للمعاني النافعة [٣].

ومن الأمثلة على ذلك عند قوله ﴿ * لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٠

قال الشيخ : ولم يذكر الذي ينتهون عنه ليعم ذلك كل ما توحي به أنفسهم إليهم وتوسوس به وتدعو إليه من الشر ، من التعريض بسبب الإسلام وأهله

---

[١] البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج ٣ ، ص ١٠٢.

[٢] دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ج ١ ، ١٤٦.

[٣] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ٤٣.

والإرجاف بالمسلمين وتوهين قواهم ، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة وغير ذلك من المعاصي الصادرة من أمثال هؤلاء [١] ، فالشيخ صرح بأن الله لم يذكر ما ينتهي عنه المنافقون ، وذلك ليدل على انتهائهم عن جميع أعمال السوء بدون استثناء .

وعند قوله تعالى﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ البقرة: ٢٢٣

قال الشيخ : لم يذكر ما يبشرهم به ليعم جميع ما رتب على الإيمان من ثواب الدنيا والآخرة ، فالبشارة متناولة لكل مؤمن وأما مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين وإيمانهم قوة وضعفاً وعملاً بمقتضاه [٢]، فهذا النص صرح فيه الشيخ بقاعدة حذف المتعلق لإرادة العموم ، ذلك أن الله عز وجل لم يخص بالذكر بشارة دون أخرى فدل ذلك على إرادة جميع أنواع البشارات ، والأمثلة كثيرة في تفسيره [٣].

ثامناً : أسلوب دلالات الجملة الإسمية والفعلية .

الجمل لها أثر في إدراك أكمل المعاني ، ومعرفة أتم أوجه التفسير عند الكلام على تفسير كتاب الله ، فلذلك يحسن بالمتدبر أن يكون عارفاً بدلالات الجمل من جهة علم البلاغة ، وبالأخص علم المعاني .

وهذه الطريقة التدبرية بديعة جداً وفيها من البلاغة والحسن ما يجعل المتدبر يفتش عنها ويستلمحها ، والجمل في لغة العرب تنقسم باعتبارات كثيرة منها الجملة الإسمية والفعلية .

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٦٧١.

[٢] المرجع السابق ، ص ١٠٠.

[٣] انظر : المرجع السابق ، ص ٤٠ ، ص ٦٧١ ، ص ٥٦٦ ، ص ٩٣٣.

والجملة الإسـمية في علم البلاغة : تدل غالباً على الدوام والثبوت دون تقييد بزمن ، والجملة الفعلية : تدل غالباً على التجدد والحدوث لتقييده بالزمن [١].

وقد استخدم الشيخ هذا الأسلوب في التدبر والتأمل من خلال دلالات الجمل، ومن الأمثلة على ذلك :

عند قوله ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ ﴿٦٩﴾ ﴾ هود: ٦٩

قال الشـيخ : في هذا مشـروعية السـلام وأنه ينبغي أن يكون الرد أبلغ من الابتداء ، لأن سـلامهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد ، ورده بالجملة الإسـمية الدالة على الثبوت والاسـتمرار وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية [٢].فالشيخ تدبر من هذه الآية أن رد السلام ينبغي أن يكون أبلغ من الابتداء ، بناءً على أن إبراهيم عليه السـلام كان رده بالجملة الإسـمية الدالة على الثبوت والاسـتمرار ، بينما كان ابتداء الملائكة السـلام بالجملة الفعلية الدالة على التجدد ، والجملة الإسمية أبلغ من الفعلية .

وعنـد قـولـه ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ البقرة: ١٣٨

قال الشـيخ : (ونحن له عابدون) فوصـفهم باسـم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار ليدل على اتصافهم بذلك ، وكونه صار صبغة لهم ملازماً [٣].

---

[١] المراحل الثمان لطالب فهم القرآن ، العويد ، ص ٦٨.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٨٥.

[٣] المرجع السابق ، ص ٦٨.

المطلب الرابع : خصـــائص الأســـاليب المنهجية في التدبر عند الشـــيخ السعدي .

من خلال ما سبق يتبين لنا معالم من خصائص تطبيقات الشيخ السعدي في التدبر وهي كالآتي :

أولاً : عنايته بتوجيه الناس إلى الأخذ بمنهج السلف .

من ذلك قوله في (القواعد الحسان) :

فعلى الناس أن يتلقوا معنى كلام الله كما تلقاه الصـــحابة رضـــي الله عنهم ، فإنهم إذا قرؤوا عشـــر آيات أو أقل أو أكثر ، لم يتجاوزوها حتى يعرفوا ما دلـت عليـه من الإيمـان والعلم والعمـل ، فينزلوهـا على الأحوال الواقعـة ، ويـدخلون فيهـا جميع مـا يشـــهـدون من الحوادث والوقـائع الموجودة بهم وبغيرهم[١].

ثانياً : عنايته بالتدبر في المواسم الفاضلة .

كان للشيخ السعدي عناية خاصة بالتدبر الذاتي عند قراءة القرآن في المواسم الفاضـلة كشـهر رمضـان ، ومما يدل على ذلك تأليفه لبعض الكتب المتعلقة بالقرآن ، أو التدبر في شهر رمضان .

كما قال في أول كتابه (المواهب الربانية) هذه فوائد فتح الله علي بها في هذا الشهر المبارك [٢].

وكذلك كتابه (القواعد الحسان) والذي فرغ منه في السادس من شوال .

---

[١] القواعد الحسان ، السعدي ، ص ٩.

[٢] المواهب الربانية ، السعدي ، ص ١٤.

ثالثاً : تدبر كل آية باستقلال .

يقول الشيخ في بيان هذا المنهج الذي يسير عليه :

إعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها ، ولا أكتفي بذكري ما يتعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة ، لأن الله وصف هذا الكتاب بأنه (مثاني) ثني فيه الأخبار والقصص والحكام ، وجميع المواضيع النافعة لحكم عظيمة ، وأمر بتدبره جميعه ، لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف ، وصلاح الظاهر والباطن ، وإصلاح الأمور كلها [١].

رابعاً : تدبر الشيخ باستخدام أساليب كثيرة .

استخدم الشيخ أساليب كثيرة في تدبره ، منها الموضوعية ، والأصولية ، واللغوية والبلاغية .

خامساً : عناية الشيخ في التدبر بتطبيق وربط الآيات بالواقع .

ونجد تطبيق ذلك جلياً في تفسيره في مواطن كثيرة ، خاصة في الأساليب الموضوعية التي استخدمها الشيخ في التدبر .

سادساً: عناية الشيخ في التدبر باستخراج هدايات القرآن والدروس والعبر.

وهذه السمة تميز بها وتحدث عنها طلابه ، قال الشيخ عبدالله بن عقيل :

واستنباط الأحكام الشرعية ، والقواعد الأصولية ، والفوائد الفقهية ، إلى غير ذلك من الفوائد الأخرى ، التي لا توجد في غير تفسيره [٢].

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٢٧.

[٢] تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٩.

سابعاً : عناية الشيخ بتأصيل التدبر .

المتأمل في كتابات الشـيخ في التفسـير يظهر له ذلك ، حيث عرّف التدبر ، وبين أهميته ، وعدداً كبيراً من الوســـائل المعينة على التدبر ، وبين الأدوات التي تفتح للعبد باب التدبر .

ثامناً : سهولة العبارة وجزالتها .

فلم يستعمل الغريب ، ولم تكن العبارة عادية في مستواها ، وإنما عبارة يفهمها المبتدئ ، ويعرف دقتها المنتهي .

وبعد :

فإن من توفيق الله أن هدانا لهذا الموضـوع والمشـاركة فيه ببحث ، حيث إن التدبر غاية في الأهمية ، وبخاصـــة في هذه الفترة التي بعُد فيها كثير من الناس عن كتاب ربهم ، وألهتهم الحياة الدنيا .

الخاتمة

في نهاية البحث أحمد الله سبحانه الذي بنعمته تتم الصالحات ، وجعل لنا في علمائنا أسوة وقدوة ، فلله الحمد والمنة على إتمام هذا البحث ، وسنحاول في هذه الخاتمة إبراز أهم النتائج والتوصيات .

أولاً : النتائج .

١- الوقوف على الأهمية البالغة لمنهج التدبر ، وتفعيل دوره في الأمة حتى تعود كما كانت خير أمة أخرجت للناس .

٢- أن جلّ تعريفات اللغويين للتدبر مأخوذة من النظر في أدبار الشئ ، وعواقبه ، وهذا يدل على أن التدبر يحتاج إلى التتبع والتعمق .

٣- أن المفسرين المتقدمين لم يعرفوا التدبر تعريفاً اصطلاحياً ، لأن كلمة التدبر من الكلمات الواردة في القرآن على أصل معناها اللغوي .

٤- إطلاع المتدبر على قدوات المتدبرين دافع رئيس للإقتداء والاهتداء .

٥- الوقوف على جملة من الوسائل والأساليب المعينة على التدبر ، قبل القراءة ، وأثناء القراءة ، وبعد القراءة .

٦- عناية الشيخ السعدي بالقرآن الكريم عناية خاصة ، تعليماً ، وتفسيراً ، واستنباطاً ، وتدبراً .

٧- عناية الشـــيخ الســـعدي بتأصـــيل التدبر ، من حيث المفهوم ،والأدوات ،والوسائل وغيرها من المسائل.

٨- عناية الشـــيخ الســـعدي بتوجيه الناس وحثهم على العناية بتدبر القرآن الكريم .

٩- عناية الشـــيخ الســـعدي بالتدبر من خلال مقاصـــد الآيات ، بل غالب تفسيره مبني على ذلك .

١٠- عناية الشـيخ السـعدي بتدبر القرآن الكريم من خلال ربط الآيات بالواقع ، وفي هذا تطبيق عملي وبيان لأثر القرآن في إصـــلاح واقع المتدبر.

١١- عناية الشـيخ بعلوم العربية المعينة على التدبر ، سـواء من جهة البلاغة أو من أساليب العربية .

ثانياً : التوصيات .

١- العناية بمناهج المفسـرين في تدبر القرآن ، أو جهودهم في العناية بتدبر القرآن الكريم ، فإن في ذلك إبرازاً لنماذج وقدوات يحتاج الناس إلى إبرازها .

٢- تضـــافر جميع الجهود في نشـــر ثقافة التدبر ، وتفعيل دوره بين أفراد المجتمع بشتى الوسائل والطرق ، والاهتمام به على المستوى الأسري ، والاجتماعي ، والمؤسسي ، وغيرها .

٣- إقامة الدورات والندوات للإفادة منها في هذا الجانب بين الحين والحين ، وتفعيل دور التقنيات الحديثة اليوم في خدمة كتاب الله تعالى .

٤- إنشاء مقرر في الكليات المتخصصة يعتني بتدبر القرآن الكريم ، وتكليف علماء متخصصين بوضع مواضيعه ، فالطلاب بحاجة ماسة إلى العلم والعمل بالقرآن ، لا مجرد تلاوته .

وختاماً أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الفهارس وتشتمل على :

أولاً : فهرس المراجع .

ثانياً : فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس المراجع .

القرآن الكريم ، جلّ من أنزله .

١- إرشـاد العقل السـليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السـعود العمادي محمد بن مصطفى ، ط (بيروت ، دار إحياء التراث العربي).

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبو الحسن علي بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني ، تحقيق علي معوض – عادل عبدالموجود ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م).

٣- أصـول الفقه الإسـلامي ، وهبة الزحيلي، ط (دمشق ، دار الفكر ، الرابعة عشر ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م .

٤- أضـواء البيان في إيضـاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، ط (بيروت، دار الفكر ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م).

٥- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصـدره الرباني ، صـلاح عبدالفتاح الخالدي ، ط (عمان ، دار عمار، الأولى ١٤١٢هـ – ٢٠٠٠م).

٦- إغاثة اللهفان من مصـايد الشـيطان ، محمد بن أبي بكر بن أيوب شـمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط (الرياض ، مكتبة المعارف) .

٧- أنوار التنزيل وأسـرار التأويل ، ناصـر الدين أبو سـعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي ، ط (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الأولى ١٤١٨هـ).

٨- الإتقان في علوم القرآن ، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م) .

٩- الإحكام في أصول الأحكام ، أبو الحسن علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي ، تحقيق عبدالرزاق عفيفي ، ط (بيروت ، المكتب الإسلامي) .

١٠- الأذكار ، أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي ، ط (دار ابن حزم ، الأولى ١٤٢٥هـ).

١١- الإصابة في تمييز الصحابة ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق عادل عبدالموجود – علي محمد عوض ، ط (بيروت، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٠هـ).

١٢- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي ، ط (بيروت ، دار العلم ، الخامسة عشر ٢٠٠٢م) .

١٣- البحر المحيط في أصول الفقه ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي ، ط (دار الكتبي ، الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) .

١٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ، ط (بيروت ، دار المعرفة) .

١٥- البرهان في علوم القرآن ، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي ، ط (بيروت ، دار إحياء الكتب العربية ، الأولى ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م) .

١٦- التبيان في آداب حملة القرآن ، أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي ، تحقيق محمد الحجار ، ط (بيروت ، دار ابن حزم ، الثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) .

١٧- التبيان في أقسام القرآن ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط (بيروت ، دار المعرفة).

١٨- التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، تحقيق جماعة من العلماء ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) .

١٩- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن فروخ الأنصاري ، شمس الدين القرطبي ، تحقيق أحمد البردوني – إبراهيم أطفيش ،ط(دار الكتب المصرية ، الثانية ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م) .

٢٠- الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة ابن عثيمين ، عصام بن عبدالمنعم المري ، ط (مصر ، دار البصيرة ، الأولى ١٤٢٢هـ).

٢١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أبو الفضل أحمد بن علي ابن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد المعين خان، ط (مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الثانية ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م) .

٢٢- الشامل في حدود وتعريفات مصطلحات علم أصول الفقه ، عبدالكريم بن علي بن محمد النملة ، ط (الرياض ، مكتبة الرشد ، الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م) .

٢٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن عثمان السخاوي ، ط (بيروت ، دار مكتبة الحياة٩.

٢٤- العبر في خبر من غبر ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية) .

٢٥- الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ،ط(القاهرة ، دار العلم والثقافة) .

٢٦- الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، أبو الحسنات محمد عبدالحي اللكنوي الهندي ، ط (مصر ، مطبعة السعادة ، الأولى ١٣٢٤هـ).

٢٧- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، عبدالرحمن بن ناصر بن حمد السعدي ، ط (الرياض ، مكتبة الرشد ، الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

٢٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، ط (بيروت ، دار الكتاب العربي ، الثالثة ١٤٠٧هـ) .

٢٩- المحصول ، أبو عبدالله بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي ، الملقب بفخر الدين الرازي ، تحقيق طه جابر العلواني ، ط (مؤسسة الرسالة ، الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) .

٣٠- المراحل الثمان لطالب فهم القرآن ، عصام بن صالح العويد ، ط (الرياض ، مركز تدبر ، الثانية ١٤١٣هـ – ٢٠١٠م) .

٣١- المستصفى ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق محمد عبدالسلام عبدالشافي ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م) .

٣٢- المواهب الربانية من الآيات القرآنية ، عبدالرحمن بن ناصر بن حمد السعدي ، اعتنى به همر بن عبدالله المقبل ، ط (الرياض ، دار الحضارة ، الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م) .

٣٣- الوجيز في أصول الفقه ، محمد مصطفى الزحيلي ، ط (دمشق ، دار الخير ، الثانية ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م) .

٣٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط (بيروت ، المكتبة العصرية) .

٣٥- تدبر القرآن ، سليمان بن عمر السنيدي ، ط (الرياض ، مجلة البيان ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م) .

٣٦- تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، رقية جابر العلواني ، ط (المعهد النسوي للتكوين الشرعي ، الرابعة ٢٠٠٨م) .

٣٧- تذكرة الحفاظ ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) .

٣٨- تراجم لتسعة أعلام ، محمد بن إبراهيم الحمد ، ط (الرياض ، دار ابن خزيمة ، الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م) .

٣٩- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٩هـ).

٤٠- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا ، ط (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م) .

٤١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن بن ناصر بن حمد السعدي ، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، ط (مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م) .

٤٢- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن غالب أبو جعفر الطبري ، تحقيق أحمد شاكر ، ط (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م) .

٤٣- جهود الشيخ حامد الفقي في العقيدة ، موفق بن عبدالله كدسة ، ط (مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، الأولى ١٤٢٤هـ) .

٤٤- جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز ، محمد بن إبراهيم الحمد ، بدون طبعة .

٤٥- حاشية مقدمة التفسير ، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي ، (بدون ناشر ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م) .

٤٦- دراسات في علوم القرآن ، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي ، (الطبعة الثانية عشر ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) .

٤٧- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ، ط (القاهرة ، مطبعة المدني ، الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) .

٤٨- رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة ، أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن حمد السعدي ، ط (بيروت ، دار ابن حزم ، الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) .

٤٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي ، تحقيق علي عبدالباري عطية، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٥هـ).

٥٠- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ، محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، ط (مصر ، مطبعة الحلبي ، الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣ م) .

٥١- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الثالثة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) .

٥٢- شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن ، محمد بن صالح العثيمين ، ط (المنصورة ، دار الغد الجديد ، الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م) .

٥٣- شرح الكوكب المنير ، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن علي الفتوحي ، المعروف بابن النجار الحنبلي ، تحقيق محمد الزحيلي – نزيه حماد ، ط (مكتبة العبيكان ، الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) .

٥٤- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط (دار طوق النجاة ، الأولى ١٤٢٢هـ) .

٥٥- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، ط (بيروت ، دار إحياء التراث العربي) .

٥٦- صفحات من حياة علامة القصيم ، عبدالله الطيار ، ط (الدمام ، دار ابن الجوزي ، الأولى ١٤١٣هـ) .

٥٧- طبقات الحفاظ ، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤٠٣هـ) .

٥٨- طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي ، تحقيق محمود الطناحي – عبدالفتاح الحلو ، ط (هجر ، الثانية ١٤١٣هـ) .

٥٩- طبقات الشافعية ، أبو بكر أحمد بن عمر الدمشقي ، تقي الدين ابن قاضي شهبة ، تحقيق الحافظ عبدالعليم خان ، ط (بيروت ، عالم الكتب ، الأولى ١٤٠٧هـ) .

٦٠- طبقات المفسرين ، محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٩هـ) .

٦١- طبقات النسابين ، بكر بن عبدالله أبو زيد ، ط (الرياض ، دار الرشد ، الأولي ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).

٦٢- علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، ط (الرياض ، دار العاصمة ، الثانية ١٤١٩هـ) .

٦٣- علم مقاصد السور ، محمد بن عبدالله الربيعة ، ط (القصيم ، جامعة القصيم ، الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠١١م) .

٦٤- فتح الباري شـــرح صـــحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، ط (بيروت ، دار المعرفة ١٣٧٩هـ) .

٦٥- فضـــائل القرآن ، أبو عبيد القاســم بن ســـلام بن عبدالله الهروي ، تحقيق مروان عطية وآخرون ، ط (دمشق ، دار ابن كثير ، الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) .

٦٦- فهم القرآن ومعانيه ، الحارث بن أسد المحاربي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط (بيروت ، دار الفكر ، الثانية ١٣٩٨هـ) .

٦٧- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ، عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني ، ط (دمشق ، دار القلم ، الرابعة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م) .

٦٨- كيف نحيي قلوبنا في رمضـــان ، مجدي الهلالي ، ط (القاهرة ، مؤسسة إقرأ ١٤٢٧هـ) .

٦٩- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، ط (بيروت ، دار صادر ، الثالثة ١٤١٤هـ) .

٧٠- مجموع رســائل الحافظ ابن رجب ، طلعت الحلواني ، ط (الفاروق الحديثة ١٤٢٤هـ) .

٧١- مختصـــر منهاج القاصـــدين ، أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط – عبدالقادر الأرناؤوط ، ط (دار البيان – مؤسسة علم القرآن ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) .

٧٢- مدارج السالكين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط (بيروت، دار الكتاب العربي ، الثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م) .

٧٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق يوسف علي بديوي ، ط (بيروت ، دار الكلم الطيب ، الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) .

٧٤- مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط (الرياض ، دار اليمامة ، الأولى ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م) .

٧٥- معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي ، تحقيق إحسان عباس ، ط (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م) .

٧٦- معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي، ط (بيروت، دار صادر ، الثانية ١٩٩٥م) .

٧٧- معجم قبائل العرب القديمة ، عمر بن رضا كحالة ، ط (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، السابعة ١٤٢٤هـ – ١٩٩٤م) .

٧٨- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، ط (بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .

٧٩- مفاتيح التعامل مع القرآن، صلاح عبدالفتاح الخالدي ، ط (دمشق، دار القلم ، الثانية ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) .

٨٠- مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، الملقب بفخر الدين الرازي ، ط (بيروت ، دار إحياء التراث العربي، الثالثة ١٤٢٠هـ) .

٨١- مفاتيح تدبر القرآن ، خالد بن عبدالكريم اللاحم ، ط (الرياض ، سفير ، الثانية ١٤٢٨هـ) .

٨٢- مفتاح دار السعادة ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ط (بيروت ، دار الكتب العلمية) .

٨٣- مفهوم التدبر – تحرير وتأصيل أوراق عمل الملتقى الأول لتدبر القرآن ، ط (مركز تدبر للإستشارات التربوية ، الأولى ١٤٣٠هـ).

٨٤- مفهوم السنن الربانية في ضوء القرآن الكريم، رمضان خميس زكي، ط (القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م) .

٨٥- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ط (نهضة مصر، ٢٠٠٥م).

٨٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط (بيروت ، دار المعرفة ، الأولى ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م) .

٨٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن أبي بكر البقاعي ، ط (القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي).

٨٨- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ، عبدالفتاح السيد المرصفي المصري ، ط (المدينة المنورة ، مكتبة طيبة ، الثانية) .

ثانياً : فهرس الموضوعات:

الموضوع
المقدمة
المبحث الأول : التعريف بالشيخ السعدي و أهم كتبة
المطلب الأول : التعريف بحياة الشيخ السعدي الشخصية والعلمية
المطلب الثاني : أهم كتب الشيخ السعدي التي عنيت بالتدبر القرآني
المبحث الثاني: مفهوم التدبر ،وموانعه ، ووسائله
المطلب الأول: مفهوم التدبر
المطلب الثاني: موانع التدبر
المطلب الثالث: وسائل التدبر
المبحث الثالث : مقاصد التدبر وفوائده
المطلب الأول: مقاصد التدبر
المطلب الثاني : فوائد التدبر
المبحث الرابع: الأسالب المنهجية في تدبر القرآن مع التطبيق من كتب الشيخ السعدي

المطلب الأول: الأساليب المنهجية في التدبر من خلال التطبيقات الموضوعية
المطلب الثاني: الأساليب المنهجية في التدبر من خلال الدلالات الأصولية
المطلب الثالث: الأساليب المنهجية في التدبر من خلال اللغة والبلاغة
المطلب الرابع: خصائص الأساليب المنهجية في التدبر عند الشيخ السعدي
الخاتمة
فهرس المراجع